جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
علوم إنسانية

مذكرة ماستر

ميدان علوم إنسانية
فرع التاريخ
تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: .....

إعداد الطالب:

زوبيدة غزال

نور الهدى عطار

يوم: 27 / 2022/06

مفدي زكرياء؛ نضاله السياسي في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (1908-1962م)

لجنة المناقشة:

نور الدين بن قويدر	أ. مح.أ	جامعة باتنة	**رئيسا**
وافية نفطي	أ. م. أ	جامعة بسكرة	**مشرفا**
الصادق بوطارفة	أ.مس.أ	جامعة بسكرة	**مناقشا**

السنة الجامعية: 2022/2021 م

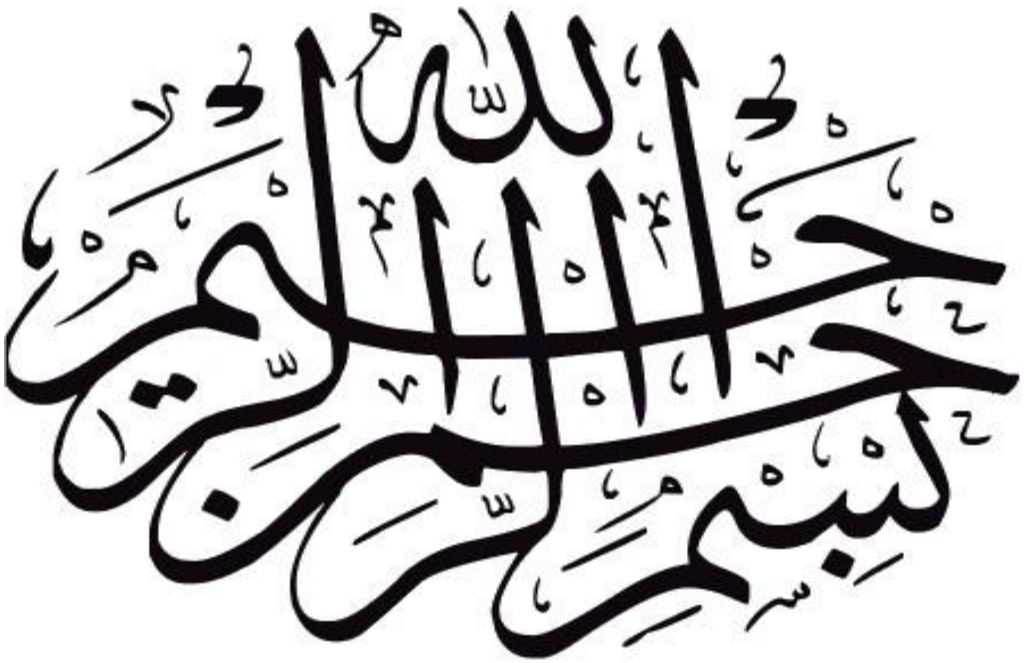
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

الشكر لله عز وجل الذي أنار لنا الدرب، وفتح لنا أبواب العلم وأمدنا بالصبر والإرادة لنتم هذا العمل.

بداية نتقدم بالشكر والامتنان للأستاذة الفاضلة نفطي وافية التي أشرفت على عملنا وساعدتنا من خلال توجيهاتها ونصائحها القيمة في إتمامه.

كما نتقدم بجزيل الشكر للدكتور سليم كرام بكلية الآداب واللغات جامعة بسكرة الذي لم يبخل علينا بالمساعدة.

قائمة المختصرات

تر	ترجمة
تح	تحقيق
ط	طبعة
ج	جزء
د.س	دون سنة
ص	صفحة

مقدمـــة

كانت السياسة الاستعمارية الفرنسية الجائرة في الجزائر من بين أسباب نمو الوعي الوطني عند الشعب الجزائري الذي رفض الخضوع والاستسلام لها، فقد كانت ردة فعل الشعب الجزائري للدفاع عن بلاده منذ بداية الاحتلال بحمل السلاح تارة وبالقلم تارة أخرى، ومن بين الأشخاص المثقفين الذين حاولوا نشر الوعي بضرورة التصدي لهذا الاستعمار الظالم عن طريق أقلامهم شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكرياء".

لطالما ارتبط اسم مفدي زكرياء بالثورة بسبب أشعاره التي رسمت تفاصيل معاناة الشعب الجزائري وخلدت ثورته المجيدة ضد الاستعمار الفرنسي، غير أن دور هذه الأشعار يفوق فكرة التخليد للثورة إلى المساهمة فيها، فقد انخرط مفدي زكرياء في العمل السياسي وهو شاب ووظف قلمه لخدمة قضية وطنه قبل اندلاع الثورة وبعدها، متحملا تبعات خياره بدخوله السجن عدة مرات وتذوقه شتى أنواع العذاب، وهو الأمر الذي دفعنا إلى دراسة هذه الشخصية في هذا العمل المعنون بـ: مفدي زكرياء؛ نضاله السياسي في الحركة الوطنية والثورة التحريرية من 1908-1962م.

أسباب اختيار الموضوع:

أسباب اختيار الموضوع كثيرة منها ما هو ذاتي، ويتمثل بصفة خاصة في رغبتنا في التعرف على شخصية مفدي زكرياء وإبراز إسهاماته في النضال السياسي قبل وخلال وبعد اندلاع الثورة. وثمة أسباب موضوعية أيضا، كان لها أهمية كبيرة في اختيار هذا الموضوع، يمكن حصرها فيما يلي:

- دراسة كتاباته خلال الحركة الوطنية شعرا ونثرا، ودورها في نضاله السياسي.

-البحث في الدراسات التي تتناول شخصية مفدي زكرياء من الجانب التاريخي، وهي قليلة.

إشكالية الموضوع:

شهدت الجزائر في مطلع القرن العشرين، بداية نهضة دينية واجتماعية وثقافية، كان من أبرز العوامل التي ساعدت على انطلاقها المضامين السياسية والفكرية التحررية والإصلاحية، وعودة

الطلبة الجزائريين الذين درسوا في الخارج خاصة بعثات الطلاب المزابيين في تونس، والذين تشربوا هناك بفكرة مقاومة الاستعمار والنضال ضده، وحاولوا نقلها إلى الجزائر بإنشاء المدارس وإصدار الصحف، ومن أبرز هؤلاء الطلبة نجد مفدي زكرياء الذي كان له دور فعال في توعية الشعب بخطورة الاستعمار. مما سبق نطرح الإشكالية المتمثلة فيما يلي:

فيما تمثل النضال السياسي لمفدي زكرياء في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية؟

تندرج تحتها جملة من التساؤلات الفرعية التالية:

- كيف أثرت نشأة مفدي زكرياء في ميوله الأدبية والسياسية؟
- فيما تمثلت إسهامات مفدي زكرياء في الحركة الوطنية؟
- فيما تمثلت إسهامات مفدي زكرياء في الثورة الجزائرية؟

المنهج المتبع في دراسة الموضوع:

للإجابة على الإشكالية السابقة وللإلمام بمختلف جوانب الموضوع، اتبعنا المنهج التاريخي المناسب لجمع المادة العلمية المتعلقة بشخصية مفدي زكرياء والأنسب لإعادة سرد الأحداث، وكذلك المنهج الوصفي لوصف الأحداث والنشاط السياسي الذي كان يقوم به ضد الاستعمار الفرنسي، إضافة إلى المنهج التحليلي الذي اتبعناه لتحليل أشعاره ومقالاته.

خطة الدراسة:

ومن أجل دراسة الموضوع والإلمام بجميع عناصره اتبعنا خطة تضمنت مقدمة وثلاث فصول، وأنهينا المذكرة بمجموعة من الاستنتاجات وبعض ملاحق ذات ارتباط بموضوع الدراسة.

الفصل الأول الذي حمل عنوان: "مفدي زكرياء وحياته العلمية والعملية"، تطرقنا فيه للتعريف بشخصية مفدي زكرياء ونسبه ونشأته الأولى بمنطقة بني ميزاب، ثم بداية دراسته وانتقاله إلى تونس لاستكمال الدراسة، ثم حياته العملية بعد عودته من تونس.

وتعرضنا في الفصل الثاني والذي جاء تحت عنوان: "نضاله السياسي في الحركة الوطنية الجزائرية 1922-1939م"، تناولنا فيه النشاط السياسي لمفدي زكرياء داخل نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري، ونضاله من خلال أشعاره ومقالاته.

وجاء الفصل الثالث والأخير بعنوان " نضاله السياسي خلال الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962م"، الذي تناولنا فيه موقفه من الثورة الجزائرية، ودوره في كشف مؤامرة مقاطعة التجار المزابيين، وكذلك تفاصيل كتابته للنشيد الوطني ودوره في تعبئة الشعب الجزائري من خلال أشعاره.

مصادر ومراجع الموضوع:

وقد اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

بالنسبة للمصادر اعتمدنا على: كتاب مفدي زكرياء "تاريخ الصحافة الجزائرية" الذي حول أهم الصحف والجرائد الناشطة خلال الحركة الوطنية والذي استفدنا منه في جزء الجرائد التي ساهم فيها مفدي زكرياء، إضافة إلى كتابي "أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى" و"اللهب المقدس" الذي استخرجنا منهما معظم الأبيات الشعرية لمفدي زكرياء، وكتاب بلقاسم بن عبد الله "مفدي زكرياء شاعر مجّد الثورة حوارات وذكريات" والذي جمع فيه الكاتب مجموعة من الحوارات التي أجراها بنفسه مع مفدي زكرياء، وهي الحوارات التي استفدنا منها في الحصول على معلومات دقيقة على اعتبار أنها وردت على لسان مفدي زكرياء شخصيا.

أما بالنسبة للمراجع فنذكر: كتاب محمد ناصر "مفدي زكرياء: شاعر النضال والثورة" والذي تتبع فيه الكاتب أهم المحطات في حياة مفدي زكرياء التي صنعت منه هذا الشاعر المتميز مركزا على إنتاجه الأدبي خلالها، إضافة إلى كتاب "مفدي زكرياء ونشاطه السياسي (1908-1977)" لفاطمة عثماني الذي نقلت فيه معلومات مهمة حول نشاط مفدي زكرياء السياسي خلال الحركة الوطنية والثورة وكذا بعد الاستقلال.

الدراسات السابقة:

أطروحة الدكتوراه في الأدب الجزائري الحديث لمصطفى حمودة بعنوان " مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي في مرحلة قبل الثورة"، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010/2009م. التي يؤرخ فيها الباحث لحياة شاعر الثورة مفدي زكرياء من مولده إلى خروجه من السجن سنة 1939 م، مركزا على رصد إنتاجه الأدبي خلال هذه الفترة من مصادر مختلفة. وقد ساعدتنا هذه الرسالة في الحصول على معلومات مهمة عن نشاط مفدي زكرياء الأدبي والسياسي خلال الحركة الوطنية، والتي لم نستطع الحصول عليها من الكتب التاريخية.

وأطروحة الماجستير في التاريخ المعاصر لعبد الرزاق حرابي بعنوان" البعد الوحدوي الوطني والمغاربي في فكر مفدي زكرياء"، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2012/20011م. والتي عالج فيها الباحث فكرة وحدة الشعب الجزائري عند مفدي زكرياء ووحدة شعوب المغرب العربي، على اعتبار أن مفدي زكرياء كان يعتبر شاعرا مغاربيا لا جزائريا فقط بسبب إيمانه القوي بوحدة شعوب المغرب، وهو الأمر الذي ترجمه في أناشيده وخطاباته التي تعتبر تراثا مشتركا بين بلدان المغرب العربي، فحاول الباحث إبراز هذه الروح الوطنية الجزائرية والمغاربية في كتابات وأشعار مفدي زكرياء.

الملاحظ أن هذه الدراسات ركزت على الإنتاج الأدبي لمفدي زكريا بصفة عامة ولم تتعمق في نشاطه السياسي، وهذا ما سوف نحاول التركيز عليه خلال هذه الدراسة.

الصعوبات:

أما إذا تحدثنا عن الصعوبات فإن أي بحث أكاديمي لا يخلو من الصعوبات، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا:

- صعوبة الحصول إلى كتاباته في الصحف التونسية.
- صعوبة جمع كل مقالاته نظرا لكتاباته في صحف ومجلات عديدة بأسماء مستعارة مختلفة.

– صعوبة الحصول على معلومات عنه خلال فترة الأربعينيات.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نتقدم بخالص الشكر للجنة المناقشة على تخصيصها وقتا للاطلاع هذا عملنا هذا وتصويب الأخطاء الواردة فيه وإبداء ملاحظاتهم القيّمة لإخراج العمل في أحسن صورة ممكنة.

الفصل الأول: مفدي زكرياء وحياته العلمية والعملية.

أولا: نسبه ونشأته.

ثانيا: تعليمه.

ثالثا: حياته العملية.

أولا: نسبه ونشأته.

1- نسبه.

هو زكري بن سليمان بن يحي بن الشيخ الحاج سليمان بن عيسى بن سليمان بن الحاج بن باسعيد، ولقَّبه زميله في البعثة المزابية والدراسة سليمان بوجناح بـ " مفدي"[1].

أما نسبه إلى جده الرابع سليمان فهو مشهور، تشهد له العقود الكثيرة التي كتبها الشيخ الحاج سليمان، والتي ينهيها غالبا، على هذا النحو: " وبما ذكر شهد الكاتب لأحد عشر يوم من شوال، بعد أيام عام 1255هـ (18 ديسمبر 1839 م)، سليمان بن عيسى بن سليمان[2]".

أما نسبه إلى جده السادس باسعيد، فهو ما أثبته عقد من عقود الأحكام بمحكمة بني يزقن[3]، تناول خصومة بين معتق عيسى بن سليمان، والحاج عبد الله بن الحاج سليمان، فلبيان العلاقة بين المتخاصمين، جاء في العقد ما يلي: "على معتق عيسى بن سليمان الحاج، وخصمه ولد ابن معتقه الحاج عبد الله بن الحاج سليمان بن عيسى، كلاهما من بني يزقن، ومن عشيرة أولاد عدون بن عيسى، حرفتهما التجارة والفلاحة"، وفي تعيين المدعى عليه كتب ما يلي: "الحاج عبد الله بن الحاج سليمان بن عيسى بن سليمان بن الحاج بن أبي سعيد"[4].

---

[1]- محمد ناصر، مفدي زكرياء: شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، الجزائر، 1987، ص 08.

[2]- بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ،2007، ص 53.

[3]-**بني يزقن:** أوبني يسجن وأصل التسمية بربري حيث ينتمي جزء معتبر من أهلها إلى قبيلة " السقينة " الامازيغية، وتعتبر عاصمة علمية ودينية سكانها كلهم مزابيون اباضيين، يشتهر أهلها بقدم راسخة بالعلم والتجارة. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931ص 289.

[4]-مصطفى حمودة، مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي في مرحلة ما قبل الثورة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الجزائري الحديث، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان (الجزائر) ،2009-2010، ص100.

وعائلة مفدي تنتمي إلى عشيرة عدون بن عيسى من عرش أولاد أعنان، وقرر في 24 ديسمبر 1890 م تقسيم عشيرة أولاد عدون بن عيسى إلى عشيرتين: أولاد حاج الناصر، وأولاد الحاج زكري، ثم أدرجت العشيرتان الجديدتان وأولاد باحمان في عشيرة واحدة باسم هذه الأخيرة، أي أولاد باحمان، واختفى بذلك اسم أولاد عدون بن عيسى، فعائلة مفدي تنتمي اليوم إلى أولاد حاج الناصر، من عشيرة أولاد بحمان، من عرش أولاد أعنان.

ويغلب على ذلك أن يكون عدون بن عيسى أحد أجداد هذه العائلة، فمن عادة أهل يزقن تسمية الأبناء بأسماء الآباء والأجداد، والاسم الامازيغي عدون ومقابله العربي سعيد، وعيسى هي أسماء متكررة في شجرة عائلة مفدي بشكل لافت للنظر[1].

كان لقب العائلة هو مزقودة في الغالب أو بزقودة في القليل النادر، وقد ارتبط هذا اللقب على الأرجح بسليمان بن الحاج بن باسعيد، ودلت على ذلك أملاكه في غابة بني يزقن، فعدة مواضيع تعرف باسم غابة بزقودة، أو مزقودة، أشهرها الأرض الواقعة شرق برج العرش، بناحية انتيسة، من أجنة بني يزقن، فقد ورد في أحد العقود ما يلي: " فناب لبكير بن سليمان بن عيسى بن سليمان بن الحاج بن باسعيد، المشهورة بالبرجبانتيسة...الخ"[2]، وهي معروفة إلى تاريخ اليوم بهذا الاسم، وورث اللقب من بعده أبناؤه: موسى، والحاج، وعيسى، فورد في أحد العقود ذكر غابة عمنا عيسى بن سليمان مزقودة التي فيها البرج، وفي جريدة البزرة لسنة 1884م سجلت حفيدة الحاج، وهي لالة، على النحو التالي: "بنت بافو وهو يوسف بن الحاج بزقودة وذكر في جريدة ناس بني يزقن لسنة 1895 م حفيدي موسى وعيسى، وهما محمد بن عدون بن باسعيد بن موسى، وسليمان بن يحي بن الشيخ الحاج سليمان بن عيسى مقرونين بلقب مزقودة، وهو مالم يتكرر بالنسبة لأبناء وأحفاد الشيخ الحاج سليمان لغلبة لقب الشيخ عليهم، وكذا بالنسبة لأبناء وأحفاد موسى بن الحاج، بقى هذا اللقب معتمدا لدى أبناء

[1]– عون عبد الروضان، الشعراء العرب في القرن العشرين حياتهم شعرهم آثارهم، الأهلية للنشر، الأردن، 2005، ص 60.

[2]– بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، المرجع السابق، ص 55.

وحفدة سليمان بن عيسى بن سليمان، وبنات الحاج سعيد بن عيسى بن سليمان، فنجد في سجل التركات لمحكمة بني يزقن: "تركة مزقودة بهون أو إبراهيم بن سليمان بن عيسى سنة 1924م، وتركة ابنة عمه مزقودة زليخاء بنت الحاج سعيد بن عيسى سنة 1931م[1].

وعندما رسمت الإدارة الفرنسية استعمال الألقاب في بني يزقن سنة 1932م، نسخ لقب الشيخ لقب مزقودة، وعليه سجل اسم ابنة أخ بهون السابق ذكره عند قاضي بني يزقن 1949م معنه بيان تركتها على النحو الآتي: " الشيخ نانة بنت بكير بن سليمان بن عيسى"[2].

وهكذا اختار الفرع الذي ينتسب إليه مفدي لقب الشيخ أو بن الشيخ، في سنة 1932م، والمعني به الشيخ الحاج سليمان بن عيسى بن سليمان، وهكذا الفرع يمثله أبناء وحفدة كل من الشيخ الحاج سليمان، وأخويه الحاج سعيد وسليمان، بينما اختار الفرع ينتسب إليه باسعيد عدون بن بكير بن عدون بن بكير بن عدون بن باسعيد بن موسى لقب جدهم "باسعيد"[3].

كان أسلاف مفدي فيما يبدو مشتغلين بالفلاحة، فقد عقد أولاد عدون بن عيسى خمسة آبار مشهورة إلى تاريخ اليوم ب "القبليات"، ففي عقد يرجع إلى (مارس/أفريل 1776م إلى 1990 م) حديث عن الخطارات الخمسة " القبليات " المنسوبات لأولاد عدون بن عيسى، في ناحية الشعبة، من أجنة بني يزقن، وهي آبار غزيرة الماء في أرض فلاحية خصبة، متميزة بعذوبة مياهها، ولذلك كانت وما تزال أكثر أجنة ببني يزقن عمرانا صيفا[4].

---

[1]– مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 102.

[2]– عون عبد الروضان، المرجع السابق، ص 69.

[3]– المرجع نفسه، ص 70.

[4]– محمد عيسى وموسى، كلمات مفدي زكرياء في ذاكرة الصحافة الوطنية، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003، ص 44.

أما الشيخ الحاج سليمان بن عيسى بن سليمان، فهو الجد الثاني لمفدي زكرياء فقد ولد على الأرجح في أوائل العقد الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، بما يوافق أواخر العقد الثامن من القرن الثامن عشر، وذلك لاعتبارات نذكر منها:

– أول مرة ظهر فيها اسمه " الحاج بن عيسى بن سليمان" كان في عقد كتب أستاذه الشيخ يوسف بن حمو، بتاريخ 16 رمضان 1213 هـ (02/21/ 1799 م) كان فيه شاهدا، ولعلها الفترة التي لازمه فيها للدراسة، ويكون ذلك على الأرجح في أواخر العقد الثاني من عمره[1]، كان الشيخ الحاج سليمان بن عيسى عضو في هيئة العزابة[2].

2– عائلته.

جد مفدي زكرياء هو يحي بن الشيخ الحاج سليمان، ولد سنة 1830، كان مشتغلا بالفلاحة وطبيعة عمله اضطره إلى الإقامة ببني يزقن.

أما والد مفدي زكرياء هو سليمان، وهو الابن الثاني ليحي بن الحاج سليمان، سماه والده باسم أبيه الشيخ الحاج سليمان، وكان ميلاده في 1868م، وكان عمر سليمان بن يحي آنذاك تسع عشرة سنة، زوجته هي عائشة بنت الحاج محمد بن داود بن عبد الله بن بكير بن عبد الله بن امحمد بن الحاج الناصر بن محمد بن الحاج أعنان[3].

إن أول أثر لسفر سليمان بن يحي من بني يزقن إلى مدن الشمال كان في 1891م في عنابة، حيث امتهن تجارة العطور والأقمشة، كانت له قدرة على الإقناع بسلعته وفي

[1]– محمد ناصر، المرجع السابق، ص 09.

[2]– **العزابة:** يقصد بكلمة العزابة لغة الغربة والبعد – عزبه : أبعده أما اصطلاحا فيقصد بها خدمة الإسلام والمصلحة العامة والبعد النسبي عن زينة الحياة لاسيما التقاني وراء المادة ثم الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي الزهد في الحياة ولكي ينظم الشخص إلى حلقة العزابة يجب عليه أن يكون شخصا بالغا مسلما وأن يكون شخصا بالغا مسلما وأن يكون ذا أخلاق إسلامية أصالة وسلوكا وأن يكون متزوج وحافظ للقران محافظا على الزي الرسمي ومقر العزابة يكون داخل المسجد أين تقام اجتماعاتهم الرسمية وهو نظام متبع في بني مزاب. ينظر: بكير سعيد اعوشت، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، المطبعة العربية، الجزائر، 1991، ص102–105.

[3]– محمد عيسى وموسى، المرجع السابق، ص 50.

نفس الوقت كان يقوم بالتعبئة الشعبية لمناصرة القضية الجزائرية أثناء تنقله، وهكذا جمع بين عمله التجاري وواجبه الوطني، أما شخصيته كانت قوية تميزت بالعزم والحزم، والجدية في الأمور كلها[1].

أما أولاده فهم: محمد، ويحي، وزكري، وعائشة، وفافة، وحنة، كلهم من زوجته الأولى عائشة بنت الحاج محمد بن داود[2].

3-ميلاده ونشأته الأولى.

أما ميلاد زكري، أو مفدي زكرياء، ففيه أراء كثيرة ومختلفة، في ضبط اسمه باختلاف المصادر والمراجع، عسى أن نصل إلى تحديده. سجل مفدي زكرياء تاريخ ميلاده في بطاقة التعريف التي كتبها لـ" الديوان المخطوط للثورة الجزائرية " كالآتي: 12 أفريل 1913 م[3].

أما ترجمته المسجلة في ظهر أغلفة دواوينه الثلاثة "اللهب المقدس" و"تحت الظلال الزيتون" فقد اتفق على مولده في شهر أفريل 1913م، وهو ما ذكره مفدي في الحوار الذي أجراه معه بالقاسم بن عبد الله في 1972/08/05م[4].

عندما سافر مفدي زكرياء مع والده ثاني مرة سنة 1916 ورد أن زكرياء كان عمره ثمانية سنوات، أي أنه ولد سنة 1908م[5]، ونرجح الرأي الأخير وذلك حسب شهادة وفاته (ينظر الملحق رقم 01).

ترعرع مفدي في واحة بني مزاب[1] بقرية بني يزقن، فأدخله أبوه سليمان بن الشيخ المكتب ليتعلم كتاب الله، وشيء من القوانين الفقهية[2].

---

[1]- سليمة الكبير، مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية، المكتبة الخضراء، الجزائر، د س، ص15

[2]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 105.

[3]- أسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دار المسك، برج البحري، الجزائر، 2008، ص 08.

[4]- المرجع نفسه، ص 09.

[5]- سمير نور الدين دردور، شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكرياء، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، 2017، ص 13.

وعندما بلغ سن السادسة أخذه والده معه إلى مدينة عنابة، ولم يُذكَر إن كان قد واصل دراسته في مدينة عنابة، فكل ما ذكر عنه أنه تردد بينهما وبين مسقط رأسه بني يزقن، قبل أن يسافر إلى تونس[3].

ولم يتردد على بني يزقن بين سفره الأول وسفره إلى تونس سوى مرتين الأولى سنة 1915م والمرة الثانية سنة 1919م، ثم ليغادر وأبوه في نفس السنة إلى عنابة، ومنها كان سفره إلى تونس[4].

[1]– **مزاب:** سطح صخري مخروق بفج عميق حول مدينة غرداية على بعد600 كلم جنوب مدينة الجزائر، وتخترقه شبكة من الأودية، صنف هذا المكان سنة 1982 من طرف اليونسكو ضمن قائمة التراث العالمي للبشرية. ينظر: شرفي عاشور، معلمة الجزائر القاموس الموسوعي (تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام، معالم)، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص 1304.

[2]– نسيمة زمالي، قراءة في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص 11.

[3]– آسيا تميم، المرجع السابق، ص10.

[4]– الكبير سليمة، المرجع السابق، ص 16.

ثانيا: تعليمه

بدأ مفدي زكرياء خطواته التعليمية الأولى في مسقط رأسه، حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية والفقه غير أن تعليمه لم ينتظم في هذه الفترة لأنه كان يتردد رفقة أبيه إلى عنابة حيث تجارته، وفي سنة 1922 م توجه ضمن البعثة العلمية الميزابية الثانية (ينظر الملحق رقم 02) إلى تونس لمواصلة دراسته[1]. فالتحق بمدرسة السلام القرآنية ومكث فيها سنتين يتلقى مبادئ العربية والعلوم الكونية على يد مجموعة من الأساتذة من بينهم الشاذلي المورالي[2] ، ومن هذه المدرسة تحصل على الشهادة الابتدائية في العربية في السنة الأولى ثم دخل إلى المدرسة الخلدونية[3] في السنة الثانية، وفيها درس الحساب والهندسة والجبر والجغرافيا والتاريخ الإفريقي، ثم التحق بجامع الزيتونة سنة 1926 م وسمحت له الفرصة بالاطلاع على كتب ذات أهمية بالغة في النحو والبلاغة والأصول من بينها الجزء الأول من الأشموني والتنقيح للقرافي والسعد التفتزاني وآداب البحث وجزء من فقه اللغة للثعالبي[4].

---

[1]– فاطمة عثماني، مفدي زكرياء ونشاطه السياسي (1908–1977 م)، ط1، منشورات ألفا، الجزائر–الجزائر، 2018، ص 48.

[2]– الشاذلي المورالي: مدير مدرسة السلام، كان عضوا في الحزب الدستوري التونسي، وصاحب جريدة المنير الوطنية، كان له علاقة قوية بعم مفدي صالح بن يحي من خلال الحزب الدستوري. ينظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ص 197. وكذلك: مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 75.

[3]– المدرسة الخلدونية: تأسست في 22 ديسمبر 1896م، استمدت تسميتها من اسم العلامة عبد الرحمن بن خلدون وهدفت إلى إدخال الثقافة العصرية إلى حلقات جامع الزيتونة لإكمال النقص الموجود ببرامجه من خلال تنظيم محاضرات في التاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية والفيزياء والكيمياء. ينظر: عامر مريقي، جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين– دراسة تاريخية في مسيرتها النضالية– 19341947 م، مذكرة شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر2، 2010–2011، ص 77.

[4]– محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، تونس–تونس، 1926/1344، ص 151.

وفي دار البعثة[1] (ينظر الملحق رقم 03) عاش مفدي زكرياء –كغيره من الطلبة– في جو امتاز بالصرامة والانضباط[2]، فكان النظام السائد قائما على العناية والتركيز على مراقبة أخلاق الشباب وضبط سلوكهم وملء أوقات فراغهم حرصا على توفير الجو الملائم للدراسة، إضافة إلى تنظيم جمعيات أدبية لتثقيفهم وتفجير مواهبهم وتشجيعهم على الفصاحة والخطابة وحفظ الشعر[3]، وإقامة ندوات يديرها كبار الأدباء أبرزهم شيخ الأدباء العربي الكبادي[4]، وكانت دار البعثة تستقبل أيضا مشايخ كبار كانوا جميعهم مناضلين في صفوف الحزب الدستوري تحت زعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي[5] فيقيمون محاضرات تدور كلها حول ترسيخ معاني الاعتزاز بالدين والشخصية والعمل على تحرير الوطن [6]، وقد شهد على هذه الأجواء الشيخ ابن باديس في زيارة له للبعثة سنة 1921 م، وكتب مقالا عنها تحت عنوان " نهضة جزائرية بالحاضرة التونسية" أبدى فيه تفاؤله بثمرات هذا التكوين في المستقبل " ...إن الشعور الوطني إذا أفعم القلوب لا بد أن تظهر ثمراته في الأعمال...وهاهم أولاد إخواننا المزابية سرى فيهم شعور صحيح"، كما وصف جو البعثة معبرا عن إعجابه به

[1]– دار البعثة: هي دار تستفيد منها البعثة على سبيل الكراء، تقع في جهة متطرفة من القصبة بتونس، وهي دار ذات فناء كبير يتوسط غرف التلاميذ المخصصة للدراسة، وفي الطابق العلوي غرف النوم. ينظر: مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 72.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1998، ص 274.

[3]– بن رحال يمينة، البعثات العلمية الميزابية إلى تونس ودورها في تفعيل النهضة الفكرية الجزائرية، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 10، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة – لجزائر، ديسمبر 2018، ص 164.

[4]– محمد العربي الكبادي: (1880–1961) أديب تونسي، عرف بلقب شيخ الأدباء، ولد بمدينة تونس، درس في جامع الزيتونة، دَرَّس الآداب العربية في الأقسام العليا في جامعة الزيتونة سنة 1945، كما كان يلقي محاضرات أسبوعية في معهد الخلدونية، ترأس "جمعية الرشيدية" لمراقبة الأغاني و "لجنة الدفاع عن المسرح". ينظر: عثمان الكعاك، شيخ الأدباء كأنك تراه، مجلة الفكر، العدد 08، 1 ماي 1967، ص 21–25.

[5]– عبد العزيز الثعالبي (1874–1944 م): وهو من أبرز الشخصيات في الحركة الوطنية التونسية، جزائري الأصل فهو حفيد عبد الرحمان الثعالبي، ولد بتونس سنة 1874 م[5]، انضم إلى حزب " تونس الفتاة" وجاهر بطلب الحرية لبلاده إلى أن تم حله من طرف الفرنسيين. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج4، ط15، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، 2002، ص 12.

[6]– بن رحال يمينة، المرجع السابق، ص 51.

فيقول: "... فلما فرغنا من العشاء خرجت إلى صحن الدار شبيبتهم المتعلمة... فاصطفوا بنظام، وشنفوا أسماع الحاضرين بالأناشيد الوطنية والمدرسية وتحاوروا بالمناظرات السيفية القلمية، كل ذلك باللهجة الفصيحة والألسن الذلقة والجأش الثابت ..."[1].

وفي هذه الأجواء برز اسم مفدي زكرياء ضمن بعثته، فكان مثالا للذكاء وحضور البديهة، ما جعله مثار إعجاب أساتذته الذين تفطنوا لموهبته الشعرية فكانوا كلما تناولوا موضوعا طلبوا منه أن يقول فيه فيرتجل بيتين أو أكثر من نظمه[2]، ويقول مفدي زكرياء في ذلك: "وأما الشعر فأنا فيه أستاذ نفسي، غير أني أعرض بضاعتي على أساتذتي رؤساء البعثة الميزابية ولقد قرأت الزحافات والعلل والدوائر على شاعر الخضراء العبقري الشاذلي خزندار، ولي اطلاع على العروض والموازين ..."[3]. كما أسندت إليه مهمة الإشراف على مجلة الوفاق[4] التي كانت فرصة طلبة البعثة لتدريب أقلامهم، فترك فيها إنتاجا أدبيا غزيرا يمثل مرحلة الطفولة الأدبية[5].

وفي البعثة كانت له صداقة مميزة مع رمضان حمود وأبو القاسم الشابي الذين جمعهم حب الشعر، فكانوا يطالعون المجلات والصحف الواردة من المشرق العربي ويناقشون محتوياتها، ومن بين المؤلفات التي وقعت بين أيديهم مؤلف عن حياة مصطفى كامل وخطبه، فكان تأثير أسلوبه العاطفي الشفاف واضحا عليهم في كتاباتهم فيما بعد[6].

---

[1]– محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 29.

[2]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900–1956م، ج2، دار كردادة للنشر والتوزيع، 2008، ص 1076.

[3]– محمد الهادي الزاهري، المرجع السابق، ص 151.

[4]– مجلة الوفاق: مجلة أنشأها طلبة البعثة واتخذوها مجالا للتباري والتنافس وتدريب أقلامهم، وبعث المواهب الشابة. ينظر: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص10.

[5]– المرجع نفسه، ص 8.

[6] – محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 107.

أما عن أساتذته، فقد تتلمذ مفدي زكرياء على يد ثلة من أعلام منطقة بني ميزاب الذين رافقوا البعثة إلى تونس وأطروها فيقول فيهم: " درست على يد هؤلاء دروسا دينية، وأخرى في الوطنية والتضحية في سبيل الوطن العزيز والأمة المجيدة ..."[1]. ومن أبرز هؤلاء الأساتذة أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى،[2] الذي يعتبر من أعلام مدينة القرارة بواد ميزاب، وواحد من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، إضافة إلى أستاذه الشيخ محمد الثميني[3] الذي تولى رئاسة البعثة بعد نفي أبي إسحاق إلى مصر سنة 1923م فقاد البعثة خير قيادة، وخاض المعترك السياسي في تونس فكان عضوا بارزا في الحزب الحر الدستوري التونسي وكذلك في النادي الأدبي التونسي رفقة الشيخ العربي الكبادي[4].

أضف إلى أساتذة البعثة فقد كان لعمه الشيخ صالح بن يحي[5] دور كبير في نشأته وتكوينه السياسي في هذه الفترة، فقد كان الشيخ صالح مستقرا بتونس التي اتخذ فيها حركة تجارية دون أن ينقطع عن ميدان الثقافة والسياسة[6]، فأسس إلى جانب عبد العزيز الثعالبي

---

[1]– محمد الهادي الزاهري، المرجع السابق، ص 151.

[2] – أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى (1888/11/01 م –1973/03/03 م): بدأ مشواره العلمي بالكتّاب في مسقط رأسه، ثم درس في معهدي الشيخ الحاج عمر بن يحي، والحاج إبراهيم الأبريكي، وكان من أبرز تلامذة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، انتسب إلى جامع الزيتونة بتونس ورأس أول بعثة علمية جزائرية مزابية إليها، والبعثة الثانية سنة 1917 م، وقد كان له دور كبير في الحركة الإصلاحية في بداياتها بالجزائر، إضافة إلى أنه واحد من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، ويعتبر شيخ الصحافة الجزائرية. ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، 2000م، ص ص 27– 28.

[3]– الشيخ الثميني (1897–1970): من أبناء بني يزقن، هو أحد تلامذة القطب الأمة، ومن خرجي الزيتونة ضمن البعثة اليقظانية، دخل معترك السياسة من خلال المشاركة في الحزب الدستوري الحر التونسي، ومن نشاطاته العلمية إنشاء مكتبة الاستقامة التي كانت مقر للسياسيين التونسيين. ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 383.

[4]– المرجع نفسه.

[5]– صالح بن يحيى بن سليمان بن عيسى (ت 5 جانفي 1948 م): وهو عم مفدي زكرياءوأستاذه، تعلم على يد الشيخ الحاج بن عيسى أزبار والشيخ امحمد بن يوسف اطفيَّش، وفي سنة 1917م رحل إلى تونس مع البعثة العلمية الميزابية، فأخذ علوم سياسة الدول عن الشيخ عبد العزيز الثعالبي، تميز بذاكرته القوية، وذكائه الحاد. انظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 235.

[6]– المرجع نفسه.

الحزب الحر الدستوري التونسي، ودعم الحرب الطرابلسية بالأموال التي تم جمعها من الجزائر وتونس، واعتقل رفقة زميليه الثعالبي ومحمد الرياحي بسبب نشاطه الوطني[1]. فكان لهذا الأمر أثر كبير في شخصية مفدي زكرياء الذي كان يتردد على بيت عمه باستمرار، ويلتقي بهذه الشخصيات السياسية ويتابع أحاديثها حول هموم العالم الإسلامي والأخطار المحدقة به، فازداد اهتمامه أكثر بالقضايا الوطنية، واكتسب روحا وطنية عميقة جعلته يعقد العزم على الجهاد ضد الاستعمار والجهل والتخلف[2].

ويمكن القول أن التنشئة الإسلامية التي عرفها مفدي زكرياء في صغره وتتلمذه على يد أساتذة متأثرين بالمنهج الإصلاحي تركت أثرا واضحا في أشعاره فيما بعد، كما أن النشاطات الثقافية التي عرفها في دار البعثة واطلاعه على كتب مهمة من الناحية الأدبية منذ صغره كلها عوامل سمحت لقلمه بالنضج في وقت مبكر، وأمام الجو الوطني المشحون الذي شهدته تونس في العشرينيات والذي تميز بطابع المواجهة بين القوى الوطنية وسلطات الاستعمار والذي عاشه مفدي زكرياء في بيت عمه، تأثرت الحياة الأدبية للشاعر كثيرا[3]، وجعلتها ترتبط ارتباطا وثيقا بنشاطه السياسي الوطني، وهو ما يلاحظ على أشعاره ابتداء من سنة 1925م[4].

[1]– محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 10.

[2]– بشير بلاح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1989، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 162.

[3]– محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 11.

[4]– فاطمة عثماني، المرجع السابق، ص 53.

ثالثا: حياته العملية.

غادر مفدي زكرياء تونس، رفقة عمه بلحاج بن يحي، يوم 15 ديسمبر 1925 م، إلى سوق اهراس، فعنابة، فقالمة، فمسقط رأسه بني يزقن، وقد امتدت إقامة مفدي ببني يزقن من 27 ديسمبر 1925م الى 26 أوت 1926 م، وهي أطول مدة بعد فترة الصبا، مكثها بمسقط رأسه في حياته كلها[1].

بعد عشرة أيام من عودته عقد قرانه على فافة بنت الحاج بن محمد بن الحاج بن صالح بن يحي مرغوب في 06 جانفي 1926 م، وتزامنت عودة مفدي إلى مسقط رأسه مع عودة أبرز زملائه في البعثة، فأذكى ما كان خامدا في الصراع حول تعليم الأحداث في تونس، فكتب ابن دريس عيسى بن الحاج صالح قصيدة في تهنئتهم، وهو ما يعكس احتفاء المصلحين بثمرة هذه البعثة العلمية، في مقابل مناوشات، وقعت مع أنصار الشيخ الحاج صالح لعلي، فقد عرض الشيخ الحاج صالح بن الحاج علي باعلي رئيس الدار الثالثة للبعثة المزابية بتونس على مفدي زكرياء الالتحاق بحلقة الشيخ الحاج صالح لعلي، فاحتد الخصام بينهما، وفي ليلة 29 من رمضان ألقي الشيخ الحاج صالح لعلي، درسا في المسجد، فكان مما قال في ختامه: "من الليلة الأولى إلى هذه الليلة، ونحن نتكلم في مسائل الدين، وما قلنا إلا جزء يسيرا تافها، فماذا يصنع هؤلاء ؟ وماذا يحملون إلى بلادهم؟ يجلبون بضائع لا تنفذ في هذه البلاد، كثياب النصارى [...]، والناس يحملون القمح، وهم يجلبون غرائر من التبن"[2] وأخيرا قال: {كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ}[3].

وفي يوم وجد أحد تلامذته أمام داره طردا صغيرا فأعطاه له، وفتحه فإذا نصيب من التبن مع جواب، مصور فيه حمار يأكل التبن، وينعق، مكتوبا تحته: العلامة تاج

1-عبد الملك مرتاض، معجم شعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، 2003، ص432.

2- بديرة لزهر، رجال من ذاكرة الجزائر، ج 17، وزارة الثقافة، الجزائر، د.س، ص 10.

3- سورة الأنعام – الآية 112.

المحققين...إلى آخره، فثارت ثائرة الشيخ وأنصاره واتهموا مفدي بذلك، لأنه تحدث بمثل هذا الحديث في المجلس، وبعثوا إلى عشيرته لتجتمع، وينظروا في المسألة، فقالت العشيرة: " ليس هو الكاتب وحده، بل اجتمع هو وزملاؤه في البعثة عليه "[1].

غير أنهم في الأخير لم يصلوا إلى نتيجة، إذ نفى مفدي أية صلة بذلك، فما كان من الشيخ إلا تناول الموضوع في أحد دروسه بعد ذلك بمدة، ليقول " أرسل لنا جواب، وفيه كذا وكذا، ولا شك أن هاته العبارات لا تصدر إلا ممن لا إيمان له، إذ يقول في إمام الجامع، ووكيله الذي هرم فيه، ومؤذنه كذلك هكذا" وأخيرا قال: " كنت وصفته بالتبن، والآن أقول سم، سم، سم "، وقد تبين أن مفدي بريء من هذه التهمة وذلك باختلاف خط الرسالة عن خط يده[2].

وضع طلبة البعثة الأربعة برنامجا لمواصلة دراستهم، ليكون باجتماعهم على الساعة السابعة صباحا، فيلقي درسه المتهيئ في ذلك اليوم إلى الساعة الثامنة أو أزيد، وعلى التاسعة يجتمعوا عند الأستاذ الحاج يحي إلى الحادية عشر، ثم في الظهر عند الأستاذ الحاج إبراهيم إلى العصر، وبعد العصر كل يشتغل بنفسه[3].

لكن مفدي زكرياء لم يواظب على هذا البرنامج مع زملائه أكثر من شهرين، فقد انصرف عن جانب حياة الجد والاستقامة التي أنشأ عليها في تونس، يقول الشيخ أبو اليقظان في رسالته إلى الشيخ الثميني: " إن أمر زكرياء قد أعيا الأخوان..." ، بقي مفدي على هذه الحال بمزاب، وتنوقلت رسائل التبرم من سيرته، من غير إفصاح عما ينقمونه منه بالضبط، وربما زاد من تمرده رغبته في العودة إلى تونس لإتمام دراسته، ووقوف والده دون تحقيق رغبته، حاول مفدي بالتوسل إلى أبيه بكل الإخوان والمفكرين وجمع له عشيرته،

[1]– بن بكير الحاج يوسف، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، دار الثقافة، الجزائر، 2007، ص194.

[2]– محمد الهادي الزاهري، المرجع السابق، ص151.

[3]– بري حواس، شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص50.

ليتركه يذهب إلى تونس، فأبى أباه إلا خدمة الدراهم ويعني بذلك التجارة، وإذ فشلت محاولاته كلها كان لزاما عليه أن يدخل ميدان التجارة، ليضمن قوته، وقوة عائلته، فغادر بني يزقن على نية الخدمة في أواخر شهر أوت، قاصدا قالمة، مرورا بالجزائر[1].

هكذا دخل مفدي الحياة العملية، في دكان خاله عيسى الحاج الناصر بقالمة، غير أنه لم يستقر طويلا، فنجده في قسنطينة في النصف الثاني من سنة 1927 م، بعد عودته مباشرة من بني يزقن في أواخر شهر جوان، وفي 03 مارس 1928م ظهر اسم زكري بن سليمان بن يحي على قائمة إحصاء المعنيين بالتجنيد الإجباري، وكانت حصة بني يزقن من التجنيد لهذه السنة محددة بخمسة مجندين، غير أن جماعة بني يزقن، قامت بإجراءات تعويض حصتها من المجندين قبل التاريخ المحدد لبداية عمل " لجنة مراجعة دفعة 1928م" فجنبت أبنائها التجنيد، ومن بينهم مفدي زكرياء[2].

كان مفدي آنذاك في بني يزقن ولم يغادر إلا في أواخر أوت، هذان الشهران اللذان قضاهما بمسقط رأسه لا يفسرهما سوى تخليه للمرة الثانية عن عمله، وعليه فيبدو أن طبعه، واعتداده بنفسه وبنبوغه لم يكن يؤهله للعمل عاملا بسيطا تحت إمرة أي كان، ومحاصرا بين جدران المحلات التجارية، ومكوثه في بني يزقن هذه الفترة الطويلة نسبيا، يفسره بحثه عن عمل أكثر مناسبة لطبعه وميوله، وعزوفه عن نوع العمل الذي اشتغل به مسبقا، فوجد ضالته في العمل مروجا للسلع، بما يوفره له من تنقل مستمر بين مدن مختلفة، وبما ينعم به أثناءه من حرية، وقلة احتكاك برؤسائه[3].

[1]– بديرة لزهر، المرجع السابق، ص 20.

[2] – محمد ناصر، مفدي زكرياء: شاعر النضال والثورة، المرجع السابق، ص 35.

[3]– عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص440.

هذا العمل الجديد كان مناسبا له، إذ عمل مع عمه صالح بن يحي في مستودع "السعادة"، وفي يوم 14 مارس 1929 م، كتب مفدي من الجزائر رسالة إلى شيخه الثميني في بني يزقن يوضح فيها أنه بالجزائر من مدة عشرة أيام، وأنه راجع إلى تونس بعد يومين[1].

إن هذا العمل الجديد أحيا في نفسه رغبته الأكيدة في العودة إلى مقاعد الدراسة فحمل مهمة إقناع والده الثميني، بمناسبة زيارته لبني مزاب[2].

وفي 13 فيفري 1929 م، صدر قرار بتعطيل جريدة "واد مزاب"، وفي غياب الشيخ الثميني عن تونس، كان لمفدي دوره في دعوة الصحافة التونسية إلى القيام بواجبها في مؤازرة الشيخ أبي اليقظان، والتنديد بتعطيل جريدته، إن رسائل مفدي وغيره بداية من دخول سنة 1929م، وابتداء مفدي في عمله، تشير إلى اتخاذه من الجزائر مركز نشاطه التجاري في القطر الجزائري، منها ينطلق في جولاته شرقا وغربا وجنوبا وإليها يعود، وقد مكنه ذلك من إرجاع صلته بأستاذه أبي اليقظان إلى سابق عهدها، والانضمام إلى مجموعة من الشباب الناهض كانت تحوم في فلك الشيخ أبي اليقظان، ونشاطه الوطني والصحفي[3].

هذه المجموعة التي تألفت في عاصمة الجزائر تعتبر أول خطوة في اعتبار مفدي على الأقل في ميدان العمل الوطني، يدل عليه تسمية جماعته بـ" طائفة من الثورة "[4].

إن عمله مع عمه صالح بن يحي بما له من تاريخ نضالي، وطبيعة عمله التي تقتضي التنقل المستمر بين مدن جزائرية كثيرة، وبين الجزائر وتونس، ودورانه في فلك الشيخ أبي اليقظان، وتواصله المستمر مع الشيخ الثميني، أضف إلى ذلك كونه من قدماء البعثة المزابية بتونس في العشرينيات، كل ذلك جذب إليه عيون الإدارة الاستعمارية، فأصبح مراقبا

[1] – مصطفى حمودة، مرجع سابق، ص 124.

[2] – محمد ناصر، مفدي زكرياء: شاعر النضال والثورة، المرجع السابق، ص39

[3] – مصطفى حمودة، نفس المرجع، ص 126

[4] – بري حواس، المرجع السابق، ص 55.

في تنقلاته المختلفة، وقد تنبهت الإدارة وفي أعلى مستوياتها إلى ما يمكن أن يخفيه هذا العمل التجاري من نشاط سياسي[1].

لقد لاحظنا على مفدي منذ عودته من تونس وفي هذه السنوات الأولى من حياته العملية إلى نهاية سنة 1931م، ارتباطه بالمجموعة (طائفة الثوار)، وعدم استقلاليته سواء في العمل السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي، وكان محتشما فقد كان يحوم في فلك شيوخ البعثة، أبي اليقظان والثميني، أو ضمن مجموعة " طائفة الثوار" كما أسماها[2]، فانساق معها وراء سليمان بوجناح إلى التعاطف مع الحزب الشيوعي، وإذا كان هذا المسلك من مفدي يفسره حداثة سنه، فإن طبع التمرد والثورة فيه وهمته العالية، واعتداده بنفسه، ما كان ليتركه يقنع بأداء هذا الدور طويلا، فكان استقلاله في العمل التجاري في الشهور الأخيرة من سنة 1931م، تمهيدا لاستقلاليته أكبر في المسار الذي سيختاره لحياته في المجالات الأخرى، بما يتناسب مع ميوله وتوجهاته في الحياة، بداية من سنة 1932م، لتصبح هذه السنة منعرجا حاسما في حياته[3].

[1]– الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة، الجزائر، 2009، ص104.

[2] – مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص134.

[3] – المرجع نفسه، ص135.

الفصل الثاني: نضاله السياسي خلال الحركة الوطنية (1922- 1939 م).

أولا: أهم محطاته السياسية.

ثانيا: نضاله السياسي من خلال أشعاره.

ثالثا: نضاله السياسي من خلال مقالاته الصحفية.

أولا: أهم محطاته السياسية.

1- نشاطه في تونس.

كان مفدي زكرياء يقيم في تونس في بيت عمه صالح بن يحي أحد مؤسسي الحزب الدستوري التونسي، وهناك تعرف على زعماء كبار وعلى رأسهم الشيخ "عبد العزيز الثعالبي"، كان شديد الولع بدراسة الأبطال وعظماء الأمم فتأثر[1] بشخصية "مصطفى كامل"[2].

كان لوجود مفدي زكرياء في تونس ضمن البعثة المزابية بالغ الأثر في تكوين شخصيته السياسية، فطلبة هذه البعثة لم يكتفوا بدورهم كطلبة علم فحسب، بل ساهموا ودخلوا معترك الصراع الفرنسي التونسي[3].

وأول عمل سياسي لمفدي زكرياء في تونس هو انخراطه في سلك الشبيبة الدستورية أيام دراسته عام 1922م[4]، ولهذا السبب لاحقته السلطات الأمنية الفرنسية وزجت به في السجن لمدة 15 يوما، كما ساهم في العمل النقابي الطلابي بعد ظهور جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا سنة 1928 ملتحقا بها رسميا وعمليا في سنة 1932م، وشارك في المؤتمر الرابع الذي عقدته هذه الأخيرة بالمدرسة الخلدونية بتونس سنة 1934 م[5].

---

[1]- صالح خرفي، المدخل الى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1938، ص106.

[2]- مصطفى كامل: ولد عام 1874، أحد رواد النهضة والمقاومة السياسية في مصر، أنشا جريدة اللواء سنة 1900، وفي عام 1907 م أسس الحزب الوطني أول حزب سياسي في مصر، توفي عام 1908 وهو في الرابعة والثلاثين من عمره. ينظر: السعيد بورنان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962، ط2، دار الأمل، الجزائر، 2004، ص90.

[3]- خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939 م، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 66.

[4]- صالح خرفي، المرجع السابق، ص109.

[5]- خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 68.

2- نشاطه في الجزائر.

أما عن نشاطه السياسي في الجزائر، فبعد عودته من تونس في حدود سنة 1929م عمل في بادئ الأمر في صفوف الحركة الإصلاحية وساند جمعية العلماء المسلمين وخلد أعمالها بقصائد رائعة، غير أنه لم يجد بغيته في منهج هذه الجمعية، التي كانت تولي عنايتها للتربية والتوجيه في إطار عربي إسلامي وطني وهكذا دفعه حماسه إلى العمل ضمن صفوف طلبة شمال إفريقيا، وفي هذه الأثناء اكتشف حركة استقلالية سرية تدعى بحزب نجم شمال إفريقيا فانخرط فيها بحماس سنة 1934، ثم انتخب أمينا عاما لها سنة 1936م، إلا أن هناك بعض التقارير تدل على أن مفدي زكرياء كان انضمامه إلى حزب نجم شمال إفريقيا مبكرا، حيث كان متهم منذ 1927م، لكثرة أسفاره بين تونس وبين مسقط رأسه بني مزاب[1].

وفي عام 1931م أصبح مشبوها، فتمت محاصرته من طرف السلطات الفرنسية ببني يزقن يوم 07 مارس 1931، كما وجدت بعض الوثائق التي تدل على الميولات الوطنية والثورية لمفدي زكرياء، وأنه على علاقة مع مناضلين شيوعيين[2].

وهناك أيضا مراسلة من الحاكم العام للجزائر إلى القائد العسكري بمنطقة الاغواط، تؤكد أن حاكم منطقة غرداية قد تتبع خطوات مفدي زكرياء، وفرض عليه رقابة شديدة، كما سجل ضمن قائمة المتهمين، وبعد أن عمدت السلطات الاستعمارية على حل نجم شمال إفريقيا في جانفي1937م، وتأسيس بدلا عنه حزب الشعب الجزائري، بقي أمينا عاما له، وترأس هيئة تحرير صحيفة الشعب لسان حال الحزب[3].

---

[1]- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 110.

[2]- أسيا تميم، المرجع السابق، ص89.

[3]- الشريف ولد الحسين، من المقاومة الى الحرب من أجل الاستقلال 1830-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010، ص 95.

وفي هذا التاريخ أي في سنة 1937م، كان مفدي يلقي محاضرة بمدينة البليدة ليلة من ليالي رمضان عنوانها "الوطنية والدين" يدعوا فيها إلى الجهاد في سبيل الوطن، وهنا ألقي القبض عليه من قبل السلطات الفرنسية (ينظر الملحق رقم 04)، بتهمة التآمر على فرنسا وبقي مفدي زكرياء في السجن من 1937م إلى 1939م، رفقة زملائه في الحزب وعلى رأسهم مصالي الحاج، اجتمع مفدي زكرياء ورفقاؤه في السجن، وطلبوا من محاميهم حق الحصول على النظام السياسي، إلا أن السلطات الفرنسية لم تجب لهم ذلك مما اضطرهم إلى اللجوء إلى إضراب جوع بداية من 01 أكتوبر 1937م وهو الإضراب الأول من نوعه في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية[1].

كان لوجود مفدي زكرياء في السجن بالغ الأثر والتأثير، حيث استطاع أن يحول العديد من مساجين الحق العام إلى وطنيين، كما أن سجنه لم يقف في وجه نشاطه السياسي، حيث أنه رشح من طرف السجناء للانتخاب في عمالة قسنطينة، من أجل التعريف ببرنامج حزب الشعب، وفور تفطن السلطات الفرنسية لذلك سارعت إلى محاكمتهم أيام 02 و04 نوفمبر بتهمة إعادة تأسيس جمعية منحلة ومعادية لفرنسا ومشوشة على أمنها[2].

أقدم مدير السجن بالجزائر على إجراء آخر، عند التحاق مناضلين آخرين من الحزب بسجن بربروس، فحُوّل في نفس اليوم مصالي ومفدي ورفاقهم إلى سجن ميزون كاري، وأعادهم فيه إلى نظام سجن الحق العام، وأدرج هذا الإجراء في رسالته إلى المحافظ يخبره فيها بالتحاق هذه المجموعة الجديدة من مسؤولي حزب الشعب بربروس، وجاء هذا الإجراء متزامنا مع رسالتين من معتقلي حزب الشعب الجزائري إلى الوالي العام، وعلى الأرجح بتأثير منهما، تطالبه الأولى بتطبيق نظام السجن السياسي الكامل عليهم، برفع

[1]– أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص98.

[2]– نسيمة زمالي، المرجع السابق، ص26.

الاستثناء عن قراءة الصحف والاتصال الحر بخارج السجن، بينما تطالبه الثانية بتطبيق نظام السجن السياسي الذي حرموا منه منذ دخولهم السجن، مستندين فيها إلى استفادة الزعيم مصالي ورفاقه من هذا السجن مع اشتراكهم في نفس التهم[1].

أبدى المحافظ في رسالته إلى الوالي العام رأيا سلبيا إزاء مطالبة معتقلي حزب الشعب بالسجن السياسي، فأجابه الوالي العام بقوله: "لي الشرف أن أعلمكم، أنه وبالرغم من مشاطرتي وجهة نظركم، إلا أنني قررت أن النظام المختلط الذي منح لمصالي وشركاته أثناء إقامتهم بسجن الجزائر، والذي يجب أن يستمر في سجن ميزون كاري، لا يمكن أن ينقض أية مخالفة قانونية، أضيف أن هذا النظام هو الذي يجب أن يطبق على المتهمين السبعة معه، هم معتقلون الآن بسجن الجزائر"[2].

كانت ظروف الاعتقال في سجن ميزون كاري صعبة جدا، تحدث عنها مصالي في مذكراته، ومنها:" حلق شعرهم ولحائهم وشواربهم عند دخولهم إلى السجن، ووضعهم في اليوم الموالي في قاعة كبرى مع عدد من سجناء الحق العام، وكانوا ملزمين بالعمل في مصنع للحلفاء، ونظام العمل كان جد صارم، فلا يمكن الحديث ولا رفع الرأس للنظر يمينه أو يساره أثنائه، وكان يقوم على حراستهم حراس وعناصر مختارة من المساجين أنفسهم، كانوا أقسى على إخوانهم من الحراس"[3].

اجتمعت محكمة النقض بباريس بالغرفة الجنائية برئاسة السيد كوس يوم 1938/05/31م، للنظر في طلب النقض الذي تقدم به السجناء الجزائريين ومن بينهم مفدي زكرياء ضد الحكم الذي أصدرته في حقهم محكمة الاستئناف بالجزائر يوم 1938/01/14م، وبناء على تقرير السيد المستشار لاقارد بانتهاء المحكمة إلى إثبات التهم الموجهة إليهم،

[1]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص310.

[2]- أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 99.

[3]- مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، تر: محمد المعراجي، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار ANEP، الجزائر، ص ص 274-275.

وإقرار الأحكام التي ترتبت عليها في محكمة الاستئناف باستثناء قرار تطبيق " الإكراه البدني" عليهم. الذي يعني حرمانهم من نظام السجن السياسي، وفي يوم 19 جوان من نفس العام عنونت "ليكو دالجي" خبرا صغيرا بعنوان "الإكراه البدني" ألغي في الحكم على مصالي وشركائه، وذلك عشرين يوما من صدوره، وكان على مصالي ورفاقه أن ينتظروا شهرا كاملا بعد ذلك ليبلغوا رسميا بقرار المحكمة في حقهم بعد خمسين يوما من صدوره[1].

لم يشر إلى أسباب كل هذا التأخير بين صدور الحكم وتطبيقه في سجن ميزون كاري، ومهما كانت الإجراءات الإدارية بطيئة، فهو يخفي بالضرورة تماطلا من الإدارة القضائية بالجزائر، لأن قرار محكمة النقض أبطل حكما بذلت جهدا كبيرا في فرضه، ويبدو أنها استغلت شللا أصاب حزب الشعب الجزائري، فقد كان قرار محكمة النقض انتصار للحزب في إحدى أكبر معاركه في مواجهة الإدارة الاستعمارية بالجزائر[2].

حاولت الإدارة الاستعمارية حل حزب الشعب الجزائري، وذلك بتأثير من نجاحها في سياسة القمع التي انتهجتها في مواجهة نشاط حزب الشعب. انتهزت الظروف العصيبة التي كان يمر بها في تلك الآونة للإجهاز عليه والقضاء عليه، وذلك بالضغط على السلطة المركزية بباريس كي تصدر قرار حل حزب الشعب الجزائري[3].

مع كل هذه الظروف التي كان يعانيها مفدي زكرياء، إلا أنه استطاع أن يراسل ويرسل منشوراته بمساعدة حلاق السجن، كما كلف بتدريس اللغة العربية والمبادئ الإسلامية للسجناء. قضى مفدي زكرياء وقته بين التدريس، وقراءة القران الكريم وبعض الكتب السياسية

[1]- الشريف ولد الحسين، المصدر السابق، ص 97.

[2]- أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص105.

[3]- هلال عمار، المرجع السابق، ص114.

والجرائد، وكذلك في إبداعاته الأدبية وتحليل برامج الحزب والأفكار السياسية رفقة مصالي وزملائه المناضلين[1].

وفي يوم 16 مارس 1938م توفي والد مفدي، الشيخ سليمان بن يحي بن الحاج سليمان وعمره سبعون سنة، ووصل خبر وفاته إلى أوساط حزب الشعب الجزائري يوم 17 مارس، أي بعد يومين من وصول خبر وفاة والد مصالي الحاج بتلمسان يوم 15 مارس، وعلى ما يبدو فإن وفاة والد مفدي زكرياء كانت مفاجئة، فقد كان في السبعين من عمره، ولا تبدو عليه آثار المرض أو الكبر[2].

طلب مفدي زكرياء ومصالي الحاج من إدارة السجن السماح لهم بالخروج لتشييع جنازة والديهما إلا أن طلبهما هذا قوبل بالرفض[3].

احتج مصالي الحاج ومفدي زكرياء ورفاقهم على نظام السجن السياسي المطبق عليهم، ولما بلغ الاحتجاج إلى الوالي العام، وبعد عدة مراسلات بينه وبين محافظ عمالة الجزائر حول هذا الموضوع، أصدرت السلطات الفرنسية قرار السجن السياسي يوم 10 أفريل 1938م، فوجد مفدي زكرياء فسحة لمزاولة نشاطه السياسي، وظل كذلك إلى أن أطلق سراحه في 1939م[4].

[1]– بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص 194.

[2]– نسيمة زمالي، المرجع السابق، ص56.

[3]– عبد الرزاق حرابي، البعد الوحدوي الوطني والمغاربي في فكر مفدي زكرياء، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر2، 2011–2012، ص ص 44–49.

[4]– مصالي الحاج، المرجع السابق، ص280.

ثانيا: نضاله السياسي من خلال أشعاره.

لقد كانت قضية الاحتلال الفرنسي الشغل الشاغل لمفدي زكرياء منذ شبابه، وهو ما انعكس على أشعاره التي عبر من خلالها عن شوقه لوطنه، واتخذها وسيلة للتعبير عن رأيه في قضاياه، وأحيانا سلاحا يشهره في وجه عدوه دفاعا عنه، وفي ذلك نلمس تطور الحس الوطني لمفدي الذي كانت بدايته بالتعبير عن مسائل تخص منطقة مزاب فقط، ليتوسع نضاله بفضل التكوين الوطني والديني الذي تلقاه في البعثة ويشمل قضية وطنه الكبير "الجزائر" ووطنه الأكبر "المغرب العربي"[1].

1- مزاب في أشعاره

لقد كانت البيئة المزابية التي نشأ مفدي في أحضانها المحرك الأول لمشاعره الوطنية[2]، فنجده يركز على مزاب في معرض حديثه عن شوقه لوطنه في أشعاره الأولى، حيث وُجدت في دفاتره أبيات شعرية بعنوان "مزاب وأنا: ليلى ومجنونها، نموت معا، أو نحيا معا"، ونشرت لأول مرة في مجلة الوفاق سنة 1924م[3]، وهي أبيات يتغزل فيها مفدي بمزاب التي يرمز لها باسم " ليلى" [4](ينظر الملحق رقم 05)، فيقول في مطلعها:

الـحــب أرقـنــي، واليأس أضنانـي والبين ضاعف آلامي وأحزاني

والروح في حب ليلاي استحال إلى دمع، فأمطره شعري ووجدانــي

ثم يقول:

رفـقـا بـلادي فأنت الكون أجمعه لولاك كنت بلادي هالكا فاني

[1]- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص ص 305-314

[2]- المرجع نفسه، ص 306.

[3]- القصيدة نشرت فيما بعد باسم " لك الحياة". ينظر: مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003، ص 51.

[4]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 426.

لك الفؤاد وما في الجسم من رمق ومن دماء ومن روح وجثمان

وتعكس هذه الأبيات ارتباطه الوثيق بوطنه الصغير مزاب واستعداده لبذل الغالي والنفيس من أجله، كما تبين اتجاهه السياسي في أشعاره منذ البداية والذي لا يؤمن فيه إلا بالتحرر من الاستعمار والنضال في سبيل تحقيق ذلك، وهو الاتجاه الذي لن يحيد عنه في منحاه الشعري طوال حياته[1].

في مرحلة الدراسة التي قضاها مفدي في تونس، تصادف وجوده هناك مع نشاط السياسيين المزابيين[2] في قضية كان بني مزاب يعتبرونها قضية مصيرية، وهي قضية إثبات أن مزاب بلاد حماية بموجب المعاهدة التي وُقعت سنة 1853 م[3]، وقد استمر هذا النضال إلى غاية صدور الحكم النهائي لمجلس الدولة الغير قابل للنقض في 15 ماي 1925م والذي اعتبر المنطقة تابعة للأراضي الجزائرية، وأن فرنسا بسطت عليها سيطرتها ضمنيا عند استسلام مدينة الجزائر، وبالتالي فإن دعوة المزابيين مرفوضة جملة وتفصيلا[4].

شكل انهزام المزابيين بعد سنوات من النضال في هذه القضية صدمة كبيرة لأبنائه، ولم يكن مفدي زكرياء أقل تأثرا منهم، خاصة أنه كان يتتبع السياسيين المزابيين عن قرب، فكتب قصيدته "خواطر كئيب" التي يشير فيها إلى هذه القضية، فافتتحها بقوله:

هو الدهر في قوس الطوارق ما أبقى فللـه ما لقيـت فيه وما ألقى

---

[1]– محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 32.

[2]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 157.

[3]– بموجب معاهدة تم إبرامها بين الإدارة الفرنسية ولجنة من نواب منطقة مزاب سنة 1853، التزمت فرنسا بأن لا تتدخل في أمور بني مزاب الداخلية مقابل دفع ضريبة سنوية وعدم التعامل مع الثائرين على فرنسا، غير أن قانون التجنيد الإجباري الصادر سنة 1912 سرى مفعوله على مزاب حالها حال مناطق شمال الجزائر واستثناء في مناطق الجنوب، فنادت أصوات عديدة بإلغائه لأنه خرق للمعاهدة. ينظر: حمو محمد عيسى النوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد 1، دار الكروان، باريس، 1985، ص ص 306 –316. وكذلك مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 28.

[4]– مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 30–31.

وتلك عهود ما ألذ كؤوسها لو أن بريق السعد كان بها صدقا

ثم يقول:

عهود رشفنا من سلافة ثغرها نمير معالينا فتَيَّمننا عشقا

وعصر تقضى فاستهلت عيوننا بمخضل دمع، ظل مسترسلا طلقا[1]

حيث استهل قصيدته بالحديث عن فاجعة ألمت به دون أن يحددها، وجعلت في نظره عهدا جميلا ينقضي دون رجعة، ويدل الحديث بصيغة الجمع فيما تلا من أبيات أن المصيبة لم تمسه لوحده إنما هي مصيبة يتقاسمها مع شعبه.

ثم يقول:

ولجت خضم الشعر أسبح يافعا وسقت سفيني فوق لجته سوقا.

وقفت به في أيكة الشرق صادحا إلى غاية الدستور أحدو به الشرقا

وذكره للدستور في حديثه عن اعتماده على الشعر في نضاله، يرجح أن الفاجعة التي تحدث عنها في بداية القصيدة تتعلق بفشل السياسيين المزابيين في نضالهم للحصول على دستور خاص لمنطقة مزاب، وخسارتهم صفة الحماية[2].

بعد عودة مفدي زكرياء من تونس إلى وطنه[3]، اصطدم بواقع مختلف عما كان يتصوره، حيث وجد الجهل والتخلف هما المظهرين الأكثر سيادة سواء على وطنه الصغير مزاب، أو وطنه الكبير الجزائر، الأمر الذي جعله يحس بالإحباط، فانعكس ذلك على شعره، فكانت قصيدة "جزائر ما أشقاك بالجهل" التي نشرت في جريدة "المغرب" في 15 جويلية 1930م واحدة من القصائد التي يغلب عليها طابع الحزن والتشاؤم، وكان مفدي قد نظمها

[1]– مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، المصدر السابق، ص 58.

[2]– مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص430.

[3]– المرجع نفسه، ص 431.

بعد أن كاد التعصب المذهبي يعصف بغرداية بعد قضية الآذان[1]، فجاء مطلع القصيدة يدل على حزنه الشديد من الأوضاع السائدة عموما في بلاده[2]، فيقول:

هو الدهر ما أبقى بمقلته دمعا وتلك الليالي السود جرعنه النزعا

فأصبح يبكي صامتا بقـريحـة تجمعت البلوى على وأدها جمعا[3]

وفي أبيات لاحقة يعبر الشاعر عن فقده الأمل حتى في شعره الذي كان يتخذه سلاحا للمقاومة وطريقة لإيقاظ الناس وتوعيتهم فصار بالنسبة له مجرد وسيلة يواسي بها نفسه، فيقول:

وما كان غير الشعر سلوى لبائس يخاطب موتى، لا تطيق له رجعا

وفي أبيات أخرى يقول:

بـني وطني، يكفي الشقاق، فأنتم بنو رحم أضحى البلاء له طلعا

بنـي وطني إن فرقتكم مذاهب ففي الجرح إخوان، وفي الماء والمرعى

ثم يقول:

بني وطني، ما الوقت وقت تنازع بأي أذان لـلإله به نسـعى

---

[1]– القضية تتعلق بمنع بعض الإباضية لجماعة من المالكية من رفع الآذان في مسجد جديد لوجود مسجد أقدم، وذلك بسبب نظام محلي قديم يقضي بأن لا يرفع بالمدينة إلا آذان واحد من المسجد الأقدم بالمدينة، فكبر النزاع ليصل إلى عرضه على الإدارة الاستعمارية في المدينة والتي أصدرت قرارا بإبقاء الوضع على ما كان عليه سابقا، فتناولت بعض الصحف اللوطنية القضية بالانحياز لطرف على حساب الثاني، لتأخذ القضية بعدا وطنيا ويحتدم الصراع بين الصحف بسبب القضية. ينظر: عمار الطالبي، آثار ابن باديس، ج1، المجلد الثاني، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ص ص 500– 503. وكذلك مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 432.

[2]– مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 431.

[3]– مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، المصدر السابق، ص 81.

وهي الأبيات التي تظهر جليا تأثره بقضية الآذان والمشاكل التي أعقبتها، مستغربا من قلة الوعي والجهل المتفشي بين بني وطنه والذي كاد يتسبب بفتنة تفرقهم وتشغلهم عن همهم الأكبر.

2- الجزائر والمغرب العربي في أشعاره.

إن الحس التربوي الذي نشأ عليه مفدي من حب وطنه الصغير "مزاب" انعكس على حبه العظيم لوطنه الكبير "الجزائر" ووطنه الأكبر "المغرب العربي"[1]، وقد ساهم التكوين الوطني والديني الذي تلقاه مفدي زكرياء خلال دراسته في تعزيز هذا الشعور، حيث صارت الروح الوطنية تبرز بشكل واضح في أشعاره قصيدة بعد أخرى، ولعل الأبيات التي كتبها لتهنئة توفيق المدني بمناسبة صدور كتابه " كتاب الجزائر" أبلغ ما يمكن الاستشهاد به، حيث يمجد فيها أبناء وطنه، ويفتخر بتاريخ هذا الوطن ويعتز بالانتماء له. فيقول فيها:

شعب الجزائر والآيات شاهدة جزء من الخلد، لولا عادي المحن

شعب الجزائر، كم في الشعب من همم عليا وعبقريات، ومن فطن

شعب الجزائر، سل تاهرت ما ملكت وسل تلمسان في شجو، وفي شجن[2]

لم تكن أشعار مفدي للتعبير عن فخره واعتزازه بالانتماء للجزائر فقط، بل كانت سلاحه الذي أشهره في وجه السلطات الاستعمارية في عدة مناسبات، فبعد انضمامه لحزب نجم شمال إفريقيا، قام بتأليف نشيد الحزب الذي عرف باسم" نشيد الانطلاقة الأولى" سنة 1936 [3] (ينظر الملحق رقم 06)، والذي يقول مطلعه:

فداء الجزائر روحي ومالي ألا في سبيل الحرية

---

[1]- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 307.

[2]- مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، المصدر السابق، ص 107.

[3]- مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، د.س، ص 42.

فليحيا حزب الاستقلال ونجم شمال إفريقية[1]

ثم في بيت آخر، يقول:

فلسنا نرضى الاندماجا ولسنا نرضى التجنيسا

هذه الكلمات الحماسية كانت بمثابة وسيلة لتعبئة المناضلين في صفوف النجم، فكانوا ينشدونه في المظاهرات العامة والخاصة[2]، خاصة أنه تضمن أبياتا يندد فيها بسياسة الإدماج والفرنسة التي تقضي باعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، ومنح أهلها الجنسية الفرنسية وما يعنيه ذلك من طمس للشخصية الوطنية الجزائرية، والتي دعا إلى قبولها "جامعة النواب" التي غررت بها السلطة الاستعمارية فأقنعتها بالعمل لصالحها عن طريق الترويج لمشروع "بلوم فيوليت"[3]، لذلك فقد شكل هذا الرفض إزعاجا للاحتلال الفرنسي، فقامت الإدارة الفرنسية بمنع تداول النشيد بعد إدراكها أبعاده وما يتضمنه من معاني تثير نفوس الجزائريين[4].

وكما كان الشعر وسيلة مفدي في النضال والتعبير عن معارضته للسياسة الفرنسية وهو حر، كان كذلك سلاحه وهو في السجن، فلما ألقي عليه القبض في 29 أوت 1937 بتهمة التآمر ضد أمن الدولة[5]، نظم الشاعر قصيدة وهو في سجن بربروس، وبالتحديد في الزنزانة رقم 65، يوم 29 نوفمبر 1937، والتي حملت عنوان " نشيد الشهداء"، فكانت قصيدة من أهم القصائد التي كتبها، حيث حملت في طياتها كل معاني التحدي والصمود

[1]– مفدي زكرياء، اللهب المقدس، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 89.

[2]– بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، الجزائر، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، ط2، 2012، ص 105.

[3]– حسن فتح الباب، مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية، الدار المصرية اللبنانية، 1997، ص ص 30–31.

[4]– محمد بوسعدة، دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1930–1962 م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2020/2019 م، ص 140.

[5]– بلقاسم بن عبد الله، المصدر السابق، ص 25.

وعدم الاستسلام للممارسات الاستعمارية الوحشية إلى غاية نيل الهدف الأسمى وهو "الاستقلال"، حتى أن جبهة التحرير الوطني اختارته سنة 1956 ليردده المحكومين بالإعدام وهم يتوجهون نحو المقصلة[1]:

اعصفي يا رياح واقصفي يا رعود

أثخني يا جراح أحدقي يا قيـود

نحن قـوم أبـاة ليس فينا جبان[2]

لم يقتصر شعر مفدي زكرياء في هذه الفترة على وطنه الجزائر فقط، فقد كان متأثرا بالمناخ الثقافي السائد في تونس خلال العقد الثاني من القرن العشرين، والروح القومية التي كانت سائدة في العالم العربي في تلك الحقبة، فكان الشعر وسيلته للدفاع عن حق الشعوب العربية عامة، والشعوب المغاربية خاصة[3]. فبدا واضحا أن قضية الاستعمار التي يعاني منها المغرب العربي كانت محط اهتمامه بنفس القدر الذي كانت عليه قضية وطنه، فكانت قصيدة "إلى الريفيين" (ينظر الملحق رقم 07) التي يمجد فيها جهاد الريف بقيادة الشيخ عبد الكريم الخطابي ضد الجيش الاسباني[4] من أولى القصائد التي أبرزت موهبته بشكل أكبر، حيث نشرت لأول مرة بعدد 182 من جريدة "لسان الشعب" التونسية بتاريخ 8 سبتمبر 1925م، ونشرت أيضا في جريدتي "اللواء" وجريدة " الأخبار" القاهريتان، وفي تعليق لجريدة اللواء على القصيدة كُتب: "هذه القصيدة لشاعر لم يبلغ الحلم مفدي زكرياء وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على تشبع الأمة الجزائرية بروح الإسلام والوطنية الصادقة"[5].

---

[1]– محفوظ قداش محمد قنانش، حزب الشعب الجزائري (P.P.A) 1937–1939، تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2013، ص 216.

[2]– بلقاسم بن عبد الله، المصدر السابق، ص 25.

[3]– حسن فتح الباب، المرجع السابق، ص 29.

[4]– بلقاسم بن عبد الله، المصدر السابق، ص24.

[5]– المصدر نفسه.

وتتألف القصيدة من خمسة وستين بيتا حضّ من خلالها المجاهدين في الريف المغربي على الصبر والجهاد من أجل افتكاك الحرية والاستقلال[1]، وقد استمر مفدي زكرياء ينشد هذه القصيدة وهو على منبر نادي الحزب الحر التونسي حتى اعتقل بسببها لمدة نصف شهر[2].

وقد تعزز لدى مفدي هذا الشعور بالمصير المشترك بين وطنه الكبير ووطنه الأكبر بعد انضمامه لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، التي تعتبر وحدة المغرب من بين الأهداف التي تسعى إليها، فوجد فيها المجال خصبا للتعبير عن آرائه السياسية من خلال خطبه وقصائده[3]، فشارك في عدد من مؤتمرات الجمعية التي كانت تُعقَد في كل مرة في مدينة من مدن المغرب العربي، وكان المؤتمر الثاني للجمعية الذي عقد من 25 إلى 29 أوت 1932م بنادي الترقي أول مناسبة ليظهر فيها على منصة مفتوحة للشعر في الجزائر[4]، حيث اعتلى المنصة عند الافتتاح وألقى قصيدته "نهوضا بني إفريقيا من سباتكم"، والتي يرحب فيها بالحاضرين من المغرب العربي، فيقول:

على منبر النادي أحيي بني النادي لتستمع الدنيا روائع إنشادي

سلاما بني فاس، وأحفاد رستم، وفتية ديدون، وأبناء حماد

نزلتم على رحب الجزائر، نعمة ومنبت أبطال، ومربض آساد[5]

---

[1]– عبد الفتاح بن خليفة وعاشور سرقمة، التناص القرآني في شعر مفدي زكرياء قصيدة " إلى الريفيين" أنموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 13 العدد 1، جامعة غرداية، 2020، ص 773.

[2]– بلقاسم بن عبد الله، المصدر السابق، ص 24.

[3]– محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص17.

[4]– أبو القاسم سعد الله، تفاعل مفدي زكرياء مع التيارات الوطنية، أعمال الملتقى الدولي مفدي زكرياء شاعر الوحدة الجزائر العاصمة أيام 15 و16 مارس 2006، مؤسسة مفدي زكرياء للنشر، الجزائر، 2007، ص 64.

[5]– مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم وأشعار أخرى، المرجع السابق، ص 114.

ويبين عنوان القصيدة ومضمونها بُعد قضية الاستعمار في نظر الشاعر، وأن رفضه للاستعمار في الواقع لا يأتي من باب معاناته كشاب جزائري فقط، بل كونه إنسان واعي ومدرك لحجم الظلم الواقع على المغرب العربي وشعبه، وأن دعوته للثورة ضد هذا الوضع هي دعوة موجهة لكل الشباب المغاربي.

وفي أبيات لاحقة يقول:

هو العلم، إن حل الرفـات أنالها حياة بلا موت، وعيشا لآمـاد

هو العلم، روح العز، سر، الهداية، وإكسير إفضال، ومنبع إسعاد

ولأن الجمعية تجمع طلاب علم، فيركز مفدي زكرياء في هذه القصيدة على العلم وقيمته، حيث يؤكد على أنه طوق نجاة الشعوب من المشاكل التي تتخبط فيها، وفي مقدمتها مشكلة الاستعمار.

ثم ينتقل مفدي زكرياء في قصيدته من الحديث على قيمة العلم إلى دعوة الطلاب لاستخدام هذا السلاح في مجابهة الاستعمار والوقوف في وجه ممارساته الدنيئة التي فرضها على شعوبهم، فيقول:

كفى شرفا –يا قوم– بالعلم، فانهضوا، ورووا بعلم غلة الوطن الصادي

كفى ما جرى مـن ذلة ومـهانة، وساحق ويـلات، وعيشـة أنكـاد

وتعكس القصيدة عموما وعي مفدي زكرياء بخطورة الاستعمار رغم صغر سنه، وتعامله مع مأساة شعبه بمسؤولية تامة من خلال بحثه عن حلول عملية لإنهائها، ودعوته للطلاب أن يساهموا في حلها باستغلال علمهم ومعرفتهم[1].

وفي المؤتمر الثالث للجمعية الذي عقد في باريس 1933 م غاب مفدي زكرياء عنه، فغاب الشعر أيضا، ثم عاد ليشارك في المؤتمر الرابع الذي عقد بتونس في 2 أكتوبر

[1]– مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 457.

1934 م وكانت مشاركته مختلفة من خلال تقديمه لعقيدة الشمال الإفريقي الذي يتكون من عشرة بنود تتركز حول الوحدة والتضحية والإيمان[1] (ينظر الملحق رقم 08)، وفي المؤتمر الخامس الذي انعقد بتلمسان في جوان 1935م برعاية جمعية العلماء المسلمين حضر المؤتمر رفقة مجموعة من الزعماء والمثقفين[2]، وافتتح مفدي زكرياء المؤتمر بقصيدته "أهلا بنسل الفاتحين" (ينظر الملحق رقم 09) التي رحب من خلالها بالحضور من مختلف أقطار المغرب العربي، مؤكدا على وحدة المغرب باسم العروبة والتاريخ المشترك وبحكم الموقع، ويدعو الشباب الحاضر إلى بذل النفس والنفيس في سبيل أوطانهم، وأنه لا مكان للصاغرين المذلين في هذا الجمع، ثم يؤكد في آخر القصيدة ككل مرة أن العلم هو السبيل نحو التحرر والعيش بكرامة وأن المدرسة هي مصنع الرجال الأكفاء الذين سيحافظون على أمجاد الأجداد ويصنعون مستقبل أوطانهم[3].

[1]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، 1992، ص 111.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تفاعل مفدي زكرياء مع التيارات الوطنية، المرجع السابق، ص 64.

[3]– محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 38.

ثالثا: نضاله السياسي من خلال مقالاته الصحفية.

1- الصحف والجرائد التي كتب فيها.

يعتبر مفدي زكرياء من بين أوائل المؤسسين للصحافة الوطنية والتي تميزت عن صحافة "الأهالي" و" الكولون"، بكونها صحافة تدافع عن الوطن وتحث على توحيد الصفوف[1].

كانت بدايات مفدي زكرياء في عالم الصحافة بترأسه مجلة "الوفاق" الأدبية (ينظر الملحق 10) خلال فترة دراسته في تونس، فكتب مقالات عديدة في مواضيع مختلفة، ونشر أغلبها في المجلة نفسها[2].

وبعد عودته من تونس أواخر العشرينات، انطلقت مسيرة مفدي زكرياء في الصحافة الجزائرية، فكانت جريدتا "وادي ميزاب"[3] و"النور" لأبي اليقظان من أولى الجرائد التي استقبلت أفكاره وفتحت الأبواب أمامه للتعبير عنها وعن مواقفه تجاه مختلف القضايا[4]، ولكن خلافا حصل بينه وبين أبي اليقظان جعل هذا الأخير يتوقف عن نشر مقالاته إلا مرات قليلة وفي فترات متباعدة[5]، لذلك اتجه إلى الكتابة في جريدة "النديم" التونسية"[6].

اختار مفدي زكرياء أن يعمل مراسلا في الجزائر لجريدة "النهضة" التونسية، والتي كتب فيها لمدة ثلاث سنوات متتالية (1932، 1933، و1934) مقالات عديدة تندرج أغلبها تحت عنوان واحد هو" أخبار الجزائر"، ومن بين المواضيع التي كتب فيها المؤتمر الثاني

---

[1]- مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، ت: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء، 2003، ص 14.

[2]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص ص 454- 455.

[3]- صحيفة وادي ميزاب: صحيفة أسبوعية صدرت في أكتوبر 1926، كانت تطبع في تونس وتوزع في الجزائر، وتولى رئاسة تحريرها الشيخ صالح الثميني الذي نفي إلى مصر، وأبو اليقظان الذي انتقل إلى الجزائر العاصمة وفتح مكتبا بها للجريدة. ينظر: مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، المصدر السابق، ص ص 166-167.

[4]- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 46.

[5]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 458.

[6]- المرجع نفسه، ص 457.

لجمعية طلبة شمال إفريقيا وذلك في سلسلة من المقالات، إضافة إلى قيامه ببحث حول "جمعية العلماء المسلمين" والذي نشر في شكل سلسلة كذلك[1].

وبالرغم من تعامله مع جرائد مختلفة إلا أن الأمر لم يمنعه من التفكير في إنشاء جريدة خاصة حتى يجد حرية أكبر في نشر أفكاره، وهو ما تحقق له سنة 1933 م فأصدر جريدة "الحياة" التي توقفت بعد صدور ثلاثة أعداد منها فقط لأسباب مادية[2].

بعد ظهور جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، كتب في الجرائد الإصلاحية عدة مرات، خاصة جريدة "المرصاد" وجريدة "البصائر"[3]، واستمر الوضع على ذلك إلى أن استقر في حزب "الشعب الجزائري" وأوكلت إليه مهمة رئاسة تحرير جريدة "الشعب" الناطقة باللغة العربية والتي صدر منها عددين فقط، ليصدر بعدها مباشرة قرار إيقافها في 20 سبتمبر 1937[4]، ويُزَج بمفدي في السجن رفقة قادة الحزب بتهمة التآمر ضد أمن الدولة[5].

وبعد اعتقاله، واصل مفدي زكرياء كتابة مقالات سياسية وأدبية ونشرها في جرائد تونسية ومصرية بأسماء مستعارة مستغلا فرصة زيارتهم من طرف الحلاق بصفتهم مساجين سياسيين ليتم تهريبها خارج السجن ونشرها[6]، كما أصدر حزب الشعب في 18 ماي 1939 جريدة جديدة سميت "البرلمان الجزائري" باللغة الفرنسية، وكان المسؤول عنها أحمد بودة، لكن تحريرها الفعلي كان بأقلام أعضاء الحزب المعتقلين وذلك بعد استفادتهم من امتيازات الاعتقال السياسي، ليتم إيقافها بعد صدور العدد السابع[7].

---

[1]- مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص ص 461-462.

[2]- مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، المصدر السابق، ص 14.

[3]- عبد الرحمن شيبان، مفدي زكرياء وعلاقته بجمعية العلماء المسلمين، أعمال الملتقى الدولي مفدي زكرياء شاعر الوحدة الجزائر العاصمة أيام 15 و16 مارس 2006، الجزائر، 2007، ص 90.

[4]- أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 252.

[5]- بلقاسم بن عبد الله، المصدر السابق، ص 25

[6]- محمد قنانش، المصدر السابق، ص 107.

[7]- أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 253.

2-بعض كتاباته الصحفية.

كتب مفدي زكرياء في عدة صحف وفي مواضيع مختلفة، ومن بين كتاباته التي تمكننا من الحصول عليها، رسالة إلى الشيخ العقبي تم نشرها في جريدة البصائر، ومجموعة من المقالات التي كتبها وهو في السجن نشرت في صحف تونسية ومصرية والتي قدمت في كتاب "حزب الشعب الجزائري" لمحفوظ قداش ومحمد قنانش، وبين الرسالة الأولى التي كتبها وهو في صفوف جمعية العلماء والمقالات التي كتبها وهو في السجن بعد انضمامه لحزب الشعب الجزائري، نلاحظ اختلافا ملحوظا في طريقة كتابته، وهو ما سنقف عليه من خلال هذا العنصر.

- رسالته إلى الشيخ العقبي:

نشرت الرسالة في جريدة " البصائر" في عددها السابع والعشرين بتاريخ 10 جويلية 1936م (ينظر الملحق 11) تحت عنوان "رأي جديد في تأسيس جمعية باسم جمعية التوحيد"[1]، وتبين هذه الرسالة مدى تأثر مفدي زكرياء بجمعية العلماء التي يرى فيها المنقذ للأمة الجزائرية في هذه المرحلة التي ازدادت فيه الخلافات بين السياسيين وزعماء الأحزاب على الصعيد الوطني، كما تدل الأسطر الأولى المخصصة للتعريف بصاحبها على مكانة الشاعر المميزة في الجمعية بالرغم من صغر سنه، حيث وُصف بالنابغ الأديب والشاعر العبقري وبالطموح المغامر والمتنور الذي أدرك وجع أمته منذ نعومة أظافره فسعى إلى إسعادها وإيجاد حل لمشكلتها[2].

أما مضمون الرسالة فكان حول واحد من المبادئ التي لا طالما نادى بها مفدي زكرياء منذ بداية نضاله السياسي وهي توحيد الأمة الجزائرية، فيشير في البداية إلى أن

[1]- مفدي زكرياء، رأي جديد في تأسيس جمعية باسم جمعية التوحيد، جريدة البصائر، العدد 27، 10 جويلية 1936، ص7.

[2]- المرجع نفسه.

الشعب يشهد مرحلة جديدة في تاريخه، هي مرحلة الصحوة والوعي بضرورة التخلص من الاستعمار واسترجاع هويته، موجها الشكر لجمعية العلماء المسلمين التي كانت من أبرز المساهمين في هذه الخطوة، ثم يطرح مفدي فكرته حول العمل على توحيد الأمة الجزائرية التي صارت تعاني من الشقاق لأسباب مختلفة تارة دينية، وتارة عرقية، وتارة أخرى سياسية، وهذا كله بدعم وتسهيل من الإدارة الاستعمارية التي تشجع على هذه الفُرقة سرا وعلانية، وتتمثل فكرته في إنشاء جمعية باسم "جمعية التوحيد" تنضوي تحت جمعية العلماء، الهدف منها هو جمع وتوحيد هذه الفرق من خلال القيام بلقاءات ومحاضرات كل أسبوع في نواحي مختلفة، وإقامة مؤتمرات في العمالات الثلاث وتشكيل قافلة سنوية من الدعاة للوحدة تجوب أنحاء البلاد، وهذا تحت رئاسة قادة جمعية العلماء المسلمين[1].

- مقالاته في السجن:

بعد انضمام مفدي زكرياء إلى حزب الشعب الجزائري، نلمس تغيرا واضحا في كتاباته، ويبدو أن السبب - حسبه- هو عثوره على الحركة الوطنية الجزائرية التي يبحث عنها والتي تناهض الاستعمار بالطريقة التي تناسبه، والتي نشأ عليها في تونس[2].

ففي التصريح الذي نشر في جريدة "تونس" في 14 جوان 1937 نلمس هذا التغير من خلال دعوته الصريحة والمباشرة إلى الاستقلال، وانتقاده في هذا التصريح موقف جمعية العلماء من مشروع فيوليت وموافقتها عليه وعلى التمثيل البرلماني وإلحاق الجزائر بفرنسا، مؤكدا على رفض حزب الشعب لهذا المشروع الإدماجي، ومطالبته بمنح الشعب الجزائري الحق في إنشاء برلمان ذو سلطة تشريعية، ومنحه الاستقلال الداخلي[3].

وبعد اعتقاله رفقة قادة حزب الشعب، كتب مفدي زكرياء عدة مقالات، ونشرت في جريدة "تونس الفتاة"، ومن بينها مقال كتبه سنة 1937 م بعنوان " ملاحظات نزيهة من

[1]- مفدي زكرياء، رأي جديد في تأسيس جمعية باسم جمعية التوحيد، المرجع السابق، ص 7.

[2]- بلقاسم بن عبد الله، المصدر السابق، ص 25.

[3]- محفوظ قداش ومحمود قنانش، المصدر السابق، ص 24.

رسالة صديق" (ينظر الملحق رقم 12) يتحدث فيه عن دور خريجي جامع الزيتونة في الحياة الوطنية في المغرب العربي عامة، وفي الجزائر خاصة، ويدعو القائمين على الجامعة أن يركزوا على تدريب الطلبة وتكوينهم في الكفاح السياسي كما يتم تكوينهم في الجانب العلمي، معتبرا أن التركيز على العلوم فقط يكون الطلبة تكوينا جافا ويُخرّج أشخاصا "أشبه بخزائن الكتب المتحركة"[1].

وينتقد مفدي في هذا المقال الأساتذة والمشايخ الذين يؤطرون هذه البعثات، بسبب رفضهم الانضمام لحزب الشعب الجزائري بالرغم من محاولات الحزب الحثيثة في إقناعهم، ويقارنهم بالشباب " الأمي" الذي اتبع إيمانه وعقيدته فقادته إلى هذا الحزب الذي يعتبر في تلك الفترة الوحيد القادر على قول كلمة الحسم في مصير الشعب.

كما ينتقد بشكل واضح وصريح الحركة الإصلاحية والطرقية ويضعهما في نفس الخانة، فيرى أن الأولى بالرغم من قوة انتشارها في الجزائر إلا أنها تقوم بنشاط عقيم في معظم نواحيه، بانصرافها إلى محاربة الخرافات والبدع في المجتمع الجزائري متجاهلة المصدر الرئيسي في نشر هذه الأفكار ألا وهو المستعمر الفرنسي، كما ينتقد الطرقية التي يرى أن قتالها من طرف الإصلاحية بشكل مباشر ساهم في توحيد صفوفها أكثر، فاجتمع القادري والرحماني والتيجاني الذين كانوا أعداء سابقا في منظمة " جامعة اتحاد الزوايا"، وأنشأوا جريدة رسمية لهم، وهو الأمر الذي لم يكن ليحصل لو لم تجد هذه المقاومة الشديدة من الإصلاحية التي علمتهم النظام والاتحاد، ويخلص في الأخير إلى أن كلا الخطين يصبان في مصلحة الإدارة الاستعمارية، وأن الخط السياسي الصحيح هو الخط الذي ينادي بالاستقلال، ثم يختم مقاله وبأن الجزائر في حاجة إلى المثقفين الذين يغيرون من واقعها ويدافعون عنها ويصونون كرامة شعبها، فيقول: "... ليست الجزائر في حاجة إلى رجال

[1]– محفوظ قداش ومحمود قنانش، المصدر السابق، ص 216.

يرفعون الفاعل، وينصبون المفعول...وإنما هي بحاجة إلى رجال يرفعون رأسها عاليا وينصبون أقلامهم وأفكارهم للذود عن حماها والدفاع عن كرامتها..."[1].

وفي مقال آخر كتبه سنة 1938 تحت عنوان "الأدب في السجن" (ينظر الملحق رقم 13)، يسرد مفدي زكرياء يومياته رفقة زملائه في السجن، معتمدا في ذلك على أسلوب أدبي يغلب عليه الطابع الهزلي، وذلك كنوع من الاستهزاء بالعدو الفرنسي والتحدي له حتى داخل أسوار السجن[2]، ويظهر ذلك في الأوصاف التي يطلقها على السجان الفرنسي:" وجه كالبومة...فم أبخر...عينان صفراوان...بطن شاخص..."[3]، كما يحكي عن لقائه في باحة السجن بزملائه من حزب الشعب الجزائري الذين اعتقلوا بعده، بعد أن تولوا مهمة إصدار جريدة جديدة، وعلى رأس هؤلاء: محمد قنانش، حيواني الأخضر وعبد الله كحال[4]، والذين أسماهم في مقاله " الفوج الثاني من شهداء حزب الشعب"، ويدل هذا الاسم الذي أطلقه عليهم على استعداده للمصير الأسوأ في السجن وهو الموت، معتبرا اختيار السلطات الاستعمارية لخيرة رجال الحزب تصرفا غير بريء، لذلك يختم مقاله كمن يترك وصية للشعب وتحذيرا وتحديا للعدو أن الحزب تحت حماية ستة ملايين مسلم جزائري بإمكانهم أن يخلفوا رجال الحزب الذين سيقودونه حتى بعد استشهادهم بأرواحهم.

بعد تتبعنا مساره في الصحافة وتحليل بعض مقالاته، يمكن القول أن مفدي زكرياء عرف تطورا واضحا في كتاباته الصحفية تماشيا مع التغيرات التي طرأت على حياته السياسية، فبعد كتابته في مواضيع مختلفة (أدبية، علمية، سياسية، نقدية..) وهو طالب أخذت كتاباته تنحصر في الجانب السياسي[5]، كما أخذ أسلوب كتابته في هذا الجانب يأخذ

[1]– محفوظ قداش ومحمد قنانش، المصدر السابق، ص 227.

[2]– محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 66

[3]– محفوظ قداش ومحمد قنانش، المصدر السابق، ص 219

[4]– أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 253.

[5]– مصطفى حمودة، المرجع السابق، ص 455.

منحى تصاعدي اتجاه المستعمر الفرنسي، من دعوته لتوعية الأمة الجزائرية وتوحيدها في ظل الحركة الإصلاحية إلى المطالبة بالاستقلال في ظل حزب الشعب الجزائري، وهو المطلب الذي لم يتنازل عنه حتى بعد سجنه، بل استمر في تحدي الاستعمار بمحاولة نشر هذا المطلب أكثر وإقناع الشباب المثقف به من خلال كتاباته.

الفصل الثالث: نضاله السياسي خلال الثورة التحريرية الجزائرية (1954- 1962 م).

أولا: مساهمته في الثورة التحريرية 1954–1955 م.

ثانيا: نضاله الثوري من خلال أشعاره 1954–1962 م.

أولا: مساهمته في الثورة التحريرية 1954-1955 م.

1- انضمامه للثورة.

كان مفدي زكرياء دائما مؤمنا بالعمل الثوري، فقد سبق وأن طرح فكرة الثورة كحل للمشاكل التي تعاني منها دول المغرب العربي وكان ذلك في المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا الذي انعقد بتلمسان في جوان 1935م، حيث يذكر محمد قنانش في مذكراته أن أحد الحضور تساءل حول الطريقة التي يجب اتباعها لفرض قرارات المؤتمر التي كانت معظمها تصب حول الحفاظ على هوية الشعوب المغاربية ومقوماتها والتي بقيت حبرا على ورق بالرغم من مناقشتها مرارا، فيقول: "وإذا بصوت ينطلق من وسط القاعة ليقول كلمة واحدة تهز الحاضرين...وإذا به الشاعر مفدي زكرياء...أما الكلمة التي أطلقها كالقنبلة فهي " الثورة" كوسيلة للتنفيذ، وكلمة الثورة هذه كانت بالنسبة إلى أغلبية الحاضرين، شيئا جديدا، كانت غريبة عن مجتمعنا، فالثورة لم تذكر إلا في كتب التاريخ أو كحلم لبعض الشعراء والفلاسفة"[1]، ويضيف قنانش: "أما في الجزائر، وفي السنة التي سن فيها "قانون رينيي" الخاص بالسياسيين وبعد قوانين الأنديجينا وقانون الغاب، وبعدما وقف شيخ بلدية تلمسان المعمر الكبير فالور ضد انعقاد جلسات المؤتمر بقاعة البلدية ... يفرقع شاعرنا قنبلته بكل بساطة وببرود تام[2]"، لقد كان مفدي موقنا أن هوية الشعب التي حاول الاستعمار اقتلاعها لا يمكن أن تسترد إلا بالقوة، وفي الوقت الذي كانت الظروف تزداد صعوبة بسبب القوانين التي كانت فرنسا تضيق بها على الشعب، كان مفدي زكرياء قد حسم الأمر لديه بأن الثورة هي الحل والمَخرَج من ظلم هذا الاستعمار.

لذلك فبمجرد اندلاع الثورة، وتأسيس جبهة التحرير الوطني انضم إليها مفدي وارتمى في أحضانها دون تردد وذلك بعد نجاحه في الاحتفاظ بحياده في أزمة حركة انتصار

[1]- محمد قنانش، المصدر السابق، ص 101.

[2]- المصدر نفسه.

الحريات الديمقراطية[1]، وعدم تأثره بموقف مصالي الحاج من الثورة وجبهة التحرير الوطني بالرغم من الصداقة التي جمعتهما، وهذا إن دلَّ على شيء فهو يدل على قوة شخصيته وعدم تأثره في خياراته بأي أحد[2].

2- دوره في كشف مؤامرة مقاطعة التجار المزابيين.

عرفت سنة 1955 حملة مقاطعة طويلة مورست ضد التجار المزابيين عرفت لديهم بـ"حريم" أو "حروم"، دامت حوالي سنة تقريبا، وكان لمفدي دور أساسي في رفع هذه المقاطعة التي كبدت الجماعات المزابية خسائر مادية وحتى بشرية[3].

انطلقت المقاطعة في 11 جوان 1955م، في العاصمة وضواحيها وامتدت إلى البليدة وبوفاريك، ويعود السبب إلى طلب شخص يدعى "الريحاني" -وهو مناضل ينشط في الحركة الوطنية الجزائرية[4]- من التجار المزابيين جمع الأموال ودعم الحركة، الأمر الذي رفضه التجار[5]، فقام بإعلان مقاطعة المزابيين بدعوى أنهم لم يشاركوا في الثورة المنافسة والمناهضة لجبهة التحرير الوطني والتي يقودها مصالي الحاج تحت اسم الحركة الوطنية، ولما يئسوا من استمالة المزابيين للانضمام إليهم قاموا بالسطو على أزيد من عشرين دكان

---

[1]- بلقاسم بن عبد الله، المصدر السابق، ص 26.

[2]- فاطمة عثماني، المرجع السابق، ص 134.

[3]- صالح ابن ادريسو، المرجع السابق، ص 111.

[4]- الحركة الوطنية الجزائرية: تأسست في ديسمبر 1954 م على يد مصالي الحاج، وكان هدفها مزدوجا فمن جهة البحث عن التفاوض مع فرنسا ومن جهة أخرى محاربة جبهة التحرير الوطني، وقد خلقت هذه الحركة صعوبات كبيرة للثورة الجزائرية، وقد حاول عدد من أعضائها منتصف سنة 1955 م استغلال الوضع للقيام بالتضليل وجمع الأموال من التجار المزابيين. يُنظر: سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين دراسة حول تاريخ الجزائر، تر: محمد حافظ الجمالي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003، ص ص 347-351.

[5]- فاطمة عثماني، المرجع السابق، ص 148.

بالنهب والتخريب والحرق وحتى القتل[1]، ما أثر كثيرا في المزابيين خاصة أن حوالي 70 بالمئة من مواردهم كانت مستمدة من محلاتهم في الشمال وممتلكاتهم هناك[2].

كانت هذه المؤامرة في بدايتها مجهولة المصدر فأثارت بسبب ذلك بلبلة في الأوساط الشعبية، ثم اتضح الأمر بعد شهر وتبين أنها مؤامرة مدبرة من طرف الإدارة الفرنسية التي وظفت بعض العناصر المحسوبة على الحركة المصالية قصد ضرب الوحدة الوطنية[3] وحاولت الدعاية الاستعمارية إلصاقها بجبهة التحرير الوطني[4].

كان مفدي زكرياء في طليعة من تصدى لهذه الحملة فجند لذلك كل طاقاته وكثف اتصالاته على جميع الأصعدة[5]، وكانت البداية مع قادة الثورة، وبالتحديد عبان رمضان الذي أرسل لمفدي بن يوسف بن خدة ورباح لخضر ليطلبوا منه تأليف النشيد الوطني، فرفض مفدي الفكرة بسبب ما يتعرض له التجار المزابيين في الشمال، ولم يكن عبان ولا بن خدة ولا لخضر على دراية بهذه المشكلة، ولما تم التأكد منها، استنكر عبان هذه الفعلة الشنيعة[6].

وفي بيت مفدي زكرياء، تم عقد اجتماع حضره عبان رمضان وبن خدة ورباح لخضر وعدد من الشخصيات المزابية انتهى بإصدار منشور في 15 جوان 1955 باسم

---

[1]–حمو محمد عيسى النوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 316.

[2]– فاطمة عثماني، المرجع السابق، ص 148.

[3]–سليمان الشيخ ومحمد عيسى وموسى، دور مفدي زكرياء في أزمة 1955، أعمال الملتقى الدولي مفدي زكرياء شاعر الوحدة الجزائر العاصمة أيام 15 و16 مارس 2006، مؤسسة مفدي زكرياء للنشر، الجزائر، 2007، ص 145.

[4]– فاطمة عثماني، المرجع السابق، ص 149.

[5]– سليمان الشيخ ومحمد عيسى وموسى، المرجع السابق، ص 145.

[6]– فاطمة عثماني، المرجع السابق، ص136.

الجبهة[1] يدين هذه المقاطعة الساعية لبث الفُرقة في أوساط الشعب[2]، مبرئين جبهة التحرير من هذا الفعل ومتهمين الحركة المصالية بالوقوف وراءها[3].

وفي ذكرى نفي أحمد توفيق المدني يوم 20 جوان 1955م، ألقى مفدي قصيدة عبر فيها بمرارة عن المؤامرة الخبيثة الداعية لمقاطعة تجار بني مزاب ويدعو فيها إلى التنبه لها:

أيها الشعب والليالي حبالى بعد حين سيطلع الله فجرا

اتقوا الله في الجزائر ياناس فقد ضاقت الجزائر صبرا

عاث فيها الطغاة عسفا وظلما ورماها البغاة جهلا وفقرا

فغدا مسلم يقاطع فيها مسلما والدخيل يختال فخرا[4]

لم تتوقف جهود مفدي زكرياء في محاربة هذه الفتنة على المستوى الوطني فقط، بل كذلك على المستوى المغاربي والعربي، وذلك من خلال تنقله إلى تونس في أواخر شهر سبتمبر 1955م، وقيامه باتصالات مع العديد من الشخصيات من قادة الحزب الحر الدستوري وأعضاء مشيخة الإسلام المالكية، وأسفرت هذه الاتصالات على نشر تصريحات وبيانات في الصحف التونسية موجهة للجزائريين تدعوهم للوحدة ونبذ الفُرقة[5]، كما أذاع علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المراكشي عبر إذاعة صوت العرب بيانا يستنكر فيها المقاطعة التي يتعرض لها المزابيون ويدعو فيه إلى توحيد جهود الشعب المغاربي كافة لمحاربة الاستعمار وإخراجه من ديار المسلمين[6]، كما اجتمع الطلاب العرب في باريس وأصدروا بيانا

[1]–حمو محمد عيسى النوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص ص 316-317.

[2]– صالح ابن ادريسو، المرجع السابق، ص 112.

[3]– فاطمة عثماني، المرجع السابق، ص 137.

[4]– أبو القاسم سعد الله، تفاعل مفدي زكرياء مع التيارات الوطنية، المرجع السابق، ص ص 73-74.

[5]– سليمان الشيخ ومحمد عيسى وموسى، المرجع السابق، ص 146.

[6]– المرجع نفسه، ص ص 182- 183.

نشر في جريدة "الصباح" التونسية في 25 أكتوبر 1955م، وجهوا فيه نداء للأمة الجزائرية يحذرون فيه من التفرقة ويدعون شعبها لتجنب هذه النزاعات الطائفية[1]. كما اتصل مفدي بصديقه الصحفي نور الدين بن محمود الذي نشر في جريدة "البلاغ" التونسية في 19 سبتمبر 1955 م مقالا بعنوان "فتنة لعن الله من أيقظها" بيَّن فيه انزعاجه من المقاطعة، مُذكّرا بأمجاد المزابيين ودورهم في غرس الوطنية في بلدان المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي[2].

ولم يتردد مفدي زكرياء في الكتابة في الموضوع، فقام بنشر مقال في جريدة " البلاغ" التونسية بتاريخ 24 أكتوبر 1955م رفقة محمد الحاج الطاهر(ينظر الملحق 14)، موجها لجمعية العلماء المسلمين التي التزمت الصمت إزاء المشكلة، ودعاها فيه إلى الوقوف في وجه هذه المؤامرة وتحمل المسؤولية معهم في حل هذه الأزمة، وذلك لأن الصبغة الدينية للجمعية تحتم عليها التصدي لأي مشروع يهدف إلى إثارة التفرقة بين أبناء الشعب الواحد، مذكّرا بدور المزابيين في تأسيس الجمعية، ومستنكرا خوف بعض قادتها وصمتهم بحجة تلقيهم تهديدات وعدم نشرهم ما كتبه رئيس الجمعية المتواجد بالقاهرة "البشير الإبراهيمي"[3].

وقد ضاعف مفدي زكرياء من جهوده للقضاء على هذه الفتنة، بتكثيف الدعوة للاتزان وتجنب الفتنة، فحضر رفقة خاله الحاج ناصر لنشر كتاب عن مزاب عنوانه " الكتاب الأبيض: مزاب في الماضي والمستقبل"، يهدف من خلاله إلى التعريف بمزاب ونضاله في مختلف المجالات (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية وكذا الأدبية)، فقاما في

[1]– سليمان الشيخ ومحمد عيسى وموسى، المرجع السابق، ص 187.

[2]– فاطمة عثماني، المرجع السابق، ص 150.

[3]– سليمان الشيخ ومحمد عيسى وموسى، المرجع السابق، ص ص 154–157.

ديسمبر 1955 بجولة في الأوساط المزابيّة للإعلان عن هذا الكتاب وجمع التبرعات[1]، غير أن اعتقال مفدي زكرياء في 19 أفريل 1956 حال دون نشره[2].

فقدت حملة المقاطعة حدتها تدريجيا حتى انتهت أواخر أفريل 1956 م، وقد كان لمفدي زكرياء الفضل الأكبر في إنهاء هذه الأزمة التي كادت تعصف بالوحدة الوطنية في ظرف عصيب، وذلك بفضل علاقاته المتعددة بالشخصيات والتنظيمات ومكانته الإعلامية والثقافية[3].

[1]– صالح ابن ادريسو، المرجع السابق، ص 113.

[2]– فاطمة عثماني، المرجع السابق، ص 151.

[3]– المرجع نفسه، ص 152.

ثانيا: نضاله الثوري من خلال أشعاره 1954-1962 م.

كان مفدي زكرياء يدعو إلى الثورة من أجل الوطن من خلال قصائده، ويدعو إلى الحرية ويبحث عن المجال الثوري الذي يطبق فيه ما تلقاه من دروس في النضال والثورة عن عمه الشيخ صالح بن يحي وعن شيخه عبد العزيز الثعالبي، وهو ما تجسد في موقفه من ثورة أول نوفمبر[1]، والتي فجرها شباب تعلموا على يديه معنى الوطنية والتضحية في سبيل جزائر مستقلة، فكان أول نشيد دعا الى الثورة ضد العدو المحتل هو نشيد" من جبالنا" الذي ظهر قبل اندلاع الثورة المسلحة ببعض السنيين ومطلعه:

من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا للاستقلال[2].

هذا النشيد انتشر عبر أنحاء الوطن وحفظه الشعب الجزائري كبارا وصغارا واتخذوه رمزا للكفاح[3]. حيث اتصف شعره الثوري بالقوة في التعبير والتعبئة الثورية فكانت كل كلمة من هذا الشعر شواظا من نار[4].

عندما بدأت الثورة، اعتبرت فرنسا الثوار خارجين عن الطريق أو قطاع طرق ومجرمين، فرد عليهم مفدي بقصيدة يقول فيها:

هذه دماؤنا الغالية دفاقة وعلى الجبال أعلامنا خفاقة.

في الجهاد أرواحنا سباقة جيش التحرير إحنا مناش فلاقة [5]

مع بدايات الثورة أجمع قادة جبهة التحرير الجزائرية على ضرورة وجود نشيد للجبهة يساهم في تحريض الشعب ضد فرنسا، فتوجهت أنظارهم فورا صوب مفدي زكرياء، كان

[1] – محمد ناصر، مفدي زكرياء: شاعر النضال والثورة، المرجع السابق، ص59.

[2]– أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية، المتحف الوطني للكتاب، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،1995، ص 66.

[3]– المرجع نفسه، ص67.

[4]– محمد بوزواوي، معجم الأدباء والعلماء المعاصرين، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، ص46.

[5]– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 45-46.

مفدي يعمل في التجارة بالقصبة بالجزائر، وكان دكانه يتحول ليلا الى ملتقى ثقافي يؤمه الأدباء والمفكرون والناشطون إبان الثورة، ولما بلغته فكرة النشيد أبدى استعداده التام لإتمام المهمة[1].

لكن جبهة التحرير وضعت عدة معايير لهذا النشيد المرتقب:

-المعيار الأول: أن النداء للشباب وجماهير الشعب الجزائري للالتحاق بالثورة تحت راية جبهة التحرير الوطني وليس حزب من الأحزاب.

- المعيار الثاني: إدانة الدولة المحتلة اسما.

- المعيار الثالث: عدم ذكر أي شخصية وطنية مهما كان ماضيها لأن البطل هو الشعب الجزائري أجمع وليس فرد من الأفراد[2].

أيد مفدي زكرياء جبهة التحرير الوطني بكل إمكاناته الروحية والمادية فكتب النشيد الوطني "قسما" الذي أقسم فيه بجميع القيم، أن الثورة الجزائرية ستنتصر على الاستعمار الفرنسي. هذا النشيد الذي جاء بطلب من يوسف بن خدة ورباح لخضر[3]، اللذان أوكلا مسؤولية نظم نشيد وطني للثورة الجزائرية للشاعر مفدي زكرياء، حيث قابلاه يوم 25 أفريل 1955 م وطرحا عليه الفكرة فأجابهم بالقبول وتعهد بأن النشيد سيكون جاهزا في اليوم الموالي، فلقد كانت له رغبة جامعة في ذلك منذ وقت طويل لكن تواضعه ألزمه الصمت[4].

---

[1]- إبراهيم العسكري، لمحات من مسيرة الثورة التحررية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث، الجزائر، 1992، ص366.

[2]- الأمين البشيشي وعبد الرحمان بن حميدة، تاريخ ملحمة نشيد قسما من إرهاصات ميلاده نشيدا للثورة الجزائرية الى ترسيمه نشيدا رسميا للجمهورية الجزائرية، منشورات ألفا، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2008، ص 122.

[3]- رباح لخضر: من مواليد 1917 بسور الغزلان، انخرط في صفوف الكشافة الإسلامية، كما انضم الى حزب الشعب سنة 1937، وبعد الحرب العالمية الثانية واصل نشاطه في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، اعتقل سنة 1956م، توفي عام 1979. ينظر: مقلاتي عبد الله، أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، دس. ص ص285-286.

[4]- الرائد عز الدين، الفلاقة، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص ص 14-15.

أما عن تلحين النشيد فقد مر بثلاثة ملحنين، أولهم الملحن الجزائري محمد التوري ودامت عملية التدريب على التلحين ثلاث ساعات، كما لحنه الموسيقار التونسي محمد التريكي، الذي قام بتلحين كل مقطع من النشيد بلحن خاص، لكن لم تنجح العملية فهي تحتاج الى لحن قاسي يمثل الكلمات والثورة[1].

بعد ذلك أرسلت القصيدة إلى إذاعة صوت العرب في القاهرة، حيث كانت تنظم عدد كبير من الفنانين الكبار البارعين في مجال التلحين، ناهيك عن متابعتهم الحثيثة لأحداث الثورة الجزائرية، وقعت القصيدة وقتها بين يدي الفنان المصري محمد فوزي[2]، الذي عمل جاهدا على تلحينه رغم رفض مدير الإذاعة المصرية ذلك في البداية، لكن لإصرار محمد فوزي على تلحين النشيد الوطني استطاع الحصول على فرصة، وفعلا نجح في ذلك ولحنه بطريقة رائعة واستقر النشيد على هذا التلحين[3]، الذي نال إعجاب الجميع وكان نشيد جميع العرب وذلك لروحه الوطنية والإسلامية، ولطالما كان محل استفزاز المستعمر الذي حاول إلغاء أو حذف بعض فقراته، وهكذا أصبح النشيد الوطني جاهزا سنة 1956م[4].

وباعتبار أن مفدي زكرياء لا يغيب عن السجون الفرنسية فقد ألقي القبض عليه في 1956م، وحكم عليه بثلاث سنوات سجنا[5]، وغرامة مالية مع مصادرة كل أملاكه من مال وعقار، وخلال ثلاث سنوات امتدت من 1956 إلى 1959م، تردد على العديد من السجون الفرنسية بين سجن بربروس وسجن الحراش والبرواقية، حيث أودع في السجن الأول من 20 أفريل 1956م إلى 28 جوان 1957م، أما السجن الثاني فدخله في الفترة الممتدة من28

---

[1]- الأمين البشيشي، المصدر السابق، ص124.

[2]- محمد فوزي، ولد في مدينة طنطا بمصر عام 1918، أعظم تلحين النشيد الوطني قسما، توفي عام 1966. ينظر: الأمين البشيشي، أناشيد الوطن، ط2، منشورات ANEP، الجزائر، 2007.ص19.

[3]- المصدر نفسه، ص ص 418-426.

[4]- سهيل خالدي، جيل قسما تأثير الثورة الجزائرية في الفكر العربي المعاصر، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2001، ص17.

[5]- مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962 دراسة موضوعية وفنية، المطبوعات الجامعية، 1989، ص ص151-158.

جوان إلى 19 ديسمبر 1957، أما السجن الثالث فمكث به من 19 ديسمبر 1957 إلى أوائل فيفري 1959[1].

شهد مفدي زكرياء في هذا السجن أقصى العذاب والتنكيل بالشعب الجزائري، حيث أنظم قصيدته " زنزانة العذاب رقم 73 "، يقول فيها:

سيان عندي مفتوح ومنغلق يا سجن بابك، أم شدت به الحلق

أم سياط بها الجلاد يلهبني أم خازن النار يكويني فأصطفق

يا سجن من أنت لا أخشاك تعرفني لا يحذق البحر يحدق به الغرق

يا لائم في هواها إنها قبض من الجزائر والأمثال تنطبق

نادى المنادي الى التحرير يدفعها فاستصرخت القيود الحجر تنعتق[2]

كما شهد أيضا على إعدام البطل الشهيد أحمد زبانة[3]، وتأثره لكلماته وهو يوصي محاميه بأن يخبروا أمه أن حياته لن تذهب سدى وأنه يموت من أجل الجزائر، فتدفقت شاعريته بقصيدة مؤثرة كتبها ليلة 18 جوان 1956[4]، وصف فيها بطولة أحمد زبانة وهو يصعد المقصلة، وعنوان قصيدته " الذبيح الصاعد "[5].

وفي هذا السجن أحدث مفدي زكرياء بعض التغييرات على النشيد الوطني " قسما "، حيث كانت الفقرة التي مطلعها " يا فرنسا قد مضى العتاب " مثار الجدل وأخذ ورد فقام

[1]– عبد الرزاق حرابي، المرجع السابق، ص 66.

[2]– الأمين البشيشي وعبد الرحمان بن حميدة، المصدر السابق، ص 125.

[3]– أحمد زبانة، من مواليد 1926 انخرط في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وفي المنظمة الخاصة، اعتقل في مارس 1950 وحكم عليه ثلاث سنوات في سجن بربروس، حكم عليه بالإعدام يوم 19 جوان 1956. ينظر: مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص299.

[4]– محمد الصالح صديق، من الخالدين الذين حملوا راية ثورة الجزائر وحققوا معزة النصر، دار البعث، الجزائر، 1988، ص42.

[5]– عبد جاسم الساعدي، الشعر الوطني بين حركة الإصلاح والثورة، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2002، ص ص161-162.

بحذف مقطع من النشيد يتعرض بالاسم الى فرنسا، كما تم حذف كلمة فرنسا في البيت الثاني من المقطع الثاني في النص الأصلي الذي يقول: "لم تكن تصغي فرنسا إذا نطقنا"، وصيغ الفعل للمجهول فصار ينشد الى اليوم "لم يكن يصغى لنا لما نطقنا"، كما تم حذف عجز البيت الأخير من كل مقطع والذي كان نصه في الأصل "وأحلفنا أن تحيا الجزائر"، وتم تعويضه بعبارة " وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر"[1].

بسبب تعرض مفدي زكرياء في السجن الى أشد أنواع العذاب والتنكيل، كالعذاب بتسليط الأضواء الكاشفة على عينيه ليل نهار ولمدة ثلاث سنوات كاملة، أصبح يعاني من أزمة نفسية وكان يزاول علاجه الطبيب الأخصائي فرانز فانون [2]، الى أن أطلق سراحه سنة 1959م[3].

وبعد خروجه من السجن اتجه إلى المغرب للهروب من الضغط النفسي الذي كان يعيشه واستعان بالخبير النفسي والمناضل فرانز فانون، ثم سافر إلى تونس وخلال استقراره بها شارك بقلمه في تحرير جريدة المجاهد الأسبوعية اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني وأصبح سفير القضية الجزائرية بشعره وكتاباته في الصحافة التونسية والمغربية والمشرقية أيضا وبنشاطاته المستمرة في مختلف الملتقيات والمهرجانات الأدبية [4].

كُرّم مفدي زكرياء في مهرجان الشعر العربي بدمشق بالجائزة الأولى في 23 سبتمبر 1961 بعد إلقائه قصيدة بعنوان "رسالة الشعر في الدنيا مقدسة" خلال تواجده بالمشرق العربي زار عدة بلدان عربية، حيث زار القاهرة، وبعدها توجه إلى لبنان أين طبع ديوانه

---

[1]– الأمين البشيشي، المصدر السابق، ص ص425–426.

[2]– فرانز فانون: من مواليد 1925 من مدينة فوردي فرونس تمكن هو وخمسة من أخواته من أصل ثمانية من مزاولة دراستهم بالجامعات الفرنسية تخصص في علم النفس وأصبح طبيا نفسانيا كما درس الفلسفة، التحق فرانز بالثورة الجزائرية وناضل من أجلها. ينظر: محمد الميلي، فرانز فانون والثورة الجزائرية، دار الثقافة، الجزائر، 2007، ص08–10.

[3] – آسيا تميم، المرجع السابق، ص162.

[4]– بلقاسم عبد الله، المصدر السابق، ص17.

اللهب المقدس وبعدها توجه الى الكويت ومنها الى قطر ثم عاد مرة أخرى الى القاهرة وبعدها الى ليبيا ثم الى تونس[1].

ودامت رحلاته قرابة الأربعة أشهر وفي هذه البلدان تهاطلت عليه الدعوات من كل حدب وصوب، كما كرم من طرف الأوساط الأدبية والثقافية، وبادرت رابطة القلم الجديد بعد ذلك بإقامة حفل تكريم الشاعر وديوانه بتاريخ 17 فيفري 1962 حيث ألقى قصيدته "أمانا أيها الشعراء" وسط جمع غفير من رجال الأدب والثقافة والسياسة[2].

ومع بزوغ فجر الحرية والاستقلال في 05 جويلية 1962 عاد مفدي زكرياء ليشارك الجزائريين فرحتهم واستقر بالجزائر العاصمة وفتح مكتب للخدمات الإدارية "الأمير عبد القادر"، وألف دليل المغرب العربي الاقتصادي والذي دعى فيه إلى وحدة بلدان المغرب العربي[3].

[1]– بلقاسم بن عبد الله، المصدر نفسه، ص18.

[2]– حواس بري، المرجع السابق، ص ص 41–45.

[3] – بلقاسم بن عبد الله، المصدر السابق، ص18.

خـاتمـة

بعد دراستنا لموضوع النضال السياسي لمفدي زكرياء في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، هذا الشاعر الذي تميز بعشقه لوطنه وتبنيه لقضيته وهو شاب يافع، وبعد تتبع أهم المحطات السياسية في حياته، توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

ولد مفدي زكرياء على الأرجح سنة 1908م، واسمه الحقيقي هو زكري بن سليمان، وينحدر من منطقة بني يزقن التي نشأ وكبر فيها، حيث حرص والده على تكوينه وتربيته على تعاليم الدين الإسلامي، كما حرص على إشراكه معه في رحلاته التجارية منذ صغره.

كان انتقال مفدي زكرياء إلى تونس ضمن البعثة العلمية المزابية أهم محطة في حياته، حيث تمكن خلالها من دراسة علوم مختلفة، إلى جانب صقل موهبته الشعرية تحت إشراف أساتذته، كما تمكن من مجالسة أهم الشخصيات السياسية في بيت عمه صالح بن يحي ما زاد من وعيه السياسي في عمر مبكر.

بعد عودته من تونس، اشتغل مفدي زكرياء بالتجارة إلى جانب عمه، فساعده ذلك على أن يبدأ نشاطه السياسي، حيث سهلت عليه التجارة التنقل بين أرجاء الوطن، وبين الجزائر وتونس، وضمنت له إعادة التواصل مع السياسيين من أساتذة بعثته.

في بداية عمله السياسي، وجد مفدي زكرياء ضالته في حزب نجم شمال إفريقيا الذي كان ينادي بالاستقلال الذي كان يحلم به، كما نشط أيضا في صفوف الحركة الإصلاحية وساند جمعية العلماء المسلمين في مناسبات عدة.

نشط مفدي زكرياء في حزب الشعب الجزائري الذي خلف حزب نجم شمال إفريقيا بعد حله، وصار من قادة الحزب، فتولى مناصب عديدة فيه أهمها رئاسة الأمانة العامة للحزب، ورئاسة هيئة تحرير صحيفة الشعب الناطقة باسم الحزب.

اتخذ مفدي زكرياء من أشعاره وسيلة للتعبير عن حبه لوطنه وتمسكه به، فكانت بداياته كشاعر في البعثة المزابية تدل على انشغاله وحماسه لقضية وطنه الصغير "الجزائر" وكذلك وطنه الكبير "المغرب العربي"، وقد واصل نضاله بعد عودته للجزائر من خلال شعره في مؤتمرات طلبة شمال إفريقيا التي حاول خلالها توعية الطلبة بدورهم المهم في قضايا بلدانهم، كما لم يتردد في التعبير عن رفضه لمختلف السياسات الاستعمارية من خلال الشعر.

لم يكن مفدي زكرياء شاعرا وطنيا فحسب، بل صحفيا مناضلا أيضا، فنشط في جرائد جزائرية وتونسية عديدة، كما تولى منصب رئاسة تحرير في جريدة "الشعب" التي أغلقت نتيجة لجرأتها ولهجتها القوية تجاه الإدارة الاستعمارية، كما واصل كتاباته ضد الاستعمار حتى بعد اعتقاله من داخل السجن.

لم يتردد مفدي زكرياء في الانضمام للثورة الجزائرية بعد اندلاعها مباشرة، فقد كان من أوائل الداعين إليها بشكل صريح وذلك خلال عقد المؤتمر الرابع لطلبة شمال إفريقيا المسلمين في تلمسان، كما كان له الفضل الأكبر في كشف واحدة من أخطر المؤامرات التي هددت وحدة الشعب وكادت تقضي على الثورة في مهدها، مستغلا علاقاته مع شخصيات سياسية مهمة في الجزائر وخارجها من أجل كشفها والمتمثلة في مؤامرة مقاطعة التجار المزابيين.

وضع مفدي زكرياء نفسه وقلمه تحت تصرف قيادة الثورة، فأسندت إليه مهمة صياغة النشيد الوطني "قسما"، كما ألف أناشيد وقصائد حماسية ساهم من خلالها في تعبئة الشعب وإقناعه بضرورة الالتحاق بالثورة وتخليد أسماء وأحداث مهمة حصلت في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الجزائر.

تعرض مفدي زكرياء للسجن عدة مرات قبل وبعد تفجير الثورة، وبالرغم من التعذيب والظروف الصعبة التي عاشها هناك والتي أثرت على صحته، إلا أن ذلك لم يثن من

عزيمته، فبعد خروجه مباشرة واصل نشاطه الداعم للثورة من خلال كتاباته الصحفية وأشعاره التي كان يشارك بها في مختلف الملتقيات كسفير للقضية الجزائرية.

في الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا ولو بجزء يسير في إنجاز هذا العمل، الذي تناولنا فيه النضال السياسي لمفدي زكرياء ومواقفه المختلفة من بعض القضايا من خلال أشعاره، لكن لم يسعفنا الحظ في التطرق بعمق وبشيء من التفصيل إلى مقالاته التي كتبها على أعمدة صحافة الحركة الوطنية عامة وصحافة حزب الشعب، وعليه يمكن للباحثين في المستقبل تناول جوانب أخرى لهذه الشخصية المهمة في تاريخ الجزائر.

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01: شهادة وفاة مفدي زكرياء تبين تاريخ ميلاده

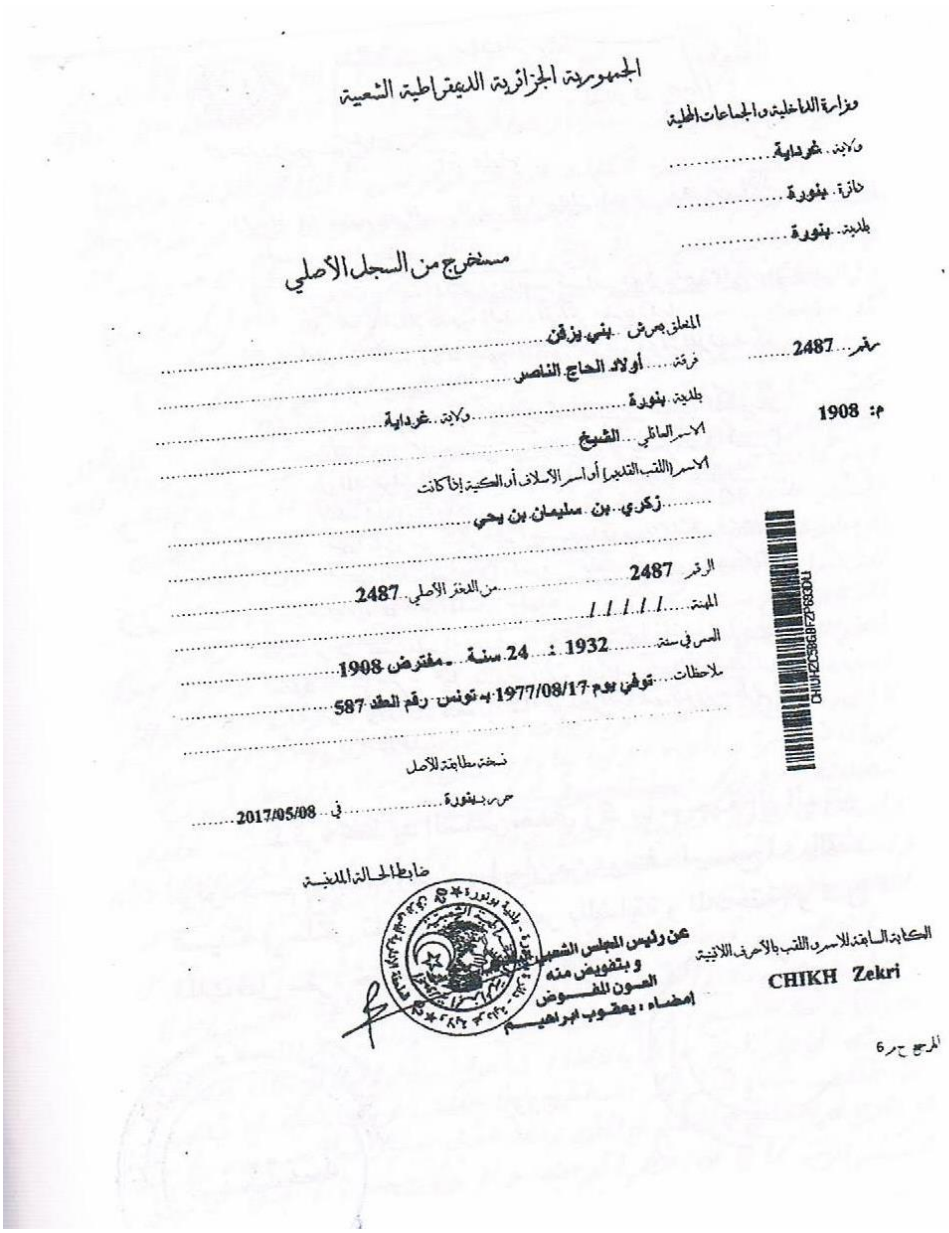

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الداخلية والجماعات المحلية

ولاية: غرداية

دائرة: بنورة

بلدية: بنورة

مستخرج من السجل الأصلي

المعلن بعرش: بني يزقن

فرقة: أولاد الحاج الناصر

بلدية: بنورة ولاية: غرداية

الاسم العائلي: الشيخ

الاسم اللقب القديم أو اسم الأسلاف أو الكنية إذا كانت

زكري بن سليمان بن يحي

الرقم 2487 من الدفتر الأصلي 2487

المهنة / / / / /

المسن في سنة 1932 : 24 سنة . مفترض 1908

ملاحظات: توفي يوم 1977/08/17 بـ تونس رقم العقد 587

نسخة مطابقة للأصل

حرر بـ بنورة في 2017/05/08

ضابط الحالة المدنية

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
و بتفويض منه
العون المفوض
إمضاء : يعقوب ابراهيم

الكتابة السابقة للاسم واللقب بالأحرف اللاتينية

CHIKH Zekri

الرجوع ص 6

رقم 2487

م: 1908

CHIKH25368F2768000U

المصدر: فاطمة عثماني، مفدي زكرياء ونشاطه السياسي (1908–1977 م)، ص 224

الملحق رقم 02: صورة للبعثة العلمية الميزابية بتونس سنة 1924م يحمل فيها مفدي زكرياء جريدة الوفاق

المصدر: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، ص 6.

الملحق رقم 03: صورة لفناء دار البعثة العلمية المزابية بتونس

المصدر:https://nir-osra.org

الملحق رقم 04: مفدي زكرياء أثناء إلقاء القبض عليه سنة 1937 رفقة أحد زملائه.

المصدر: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، ص 55.

الملحق رقم 05: قصيدة " لَكَ الحياة " التي كتبها مفدي زكرياء وهو في البعثة تحت عنوان "مزاب وأنا: ليلى ومجنونها، نموت معا، أو نحيا معا "

الحـب أرقني واليـأس أضـناني والبين ضاعف آلامي وأحزاني

والروح في حب "ليلايَ" استحال إلى دمعٍ فأمطره شعري ووجداني

أساهر النجم والأكوان هامدة تصغي أنيني بأشواق وتحنان

كأنما وغراب اللـــيـل منحــدر روحي وقلبي بجنبيه جناحان

نطوي معًا صهوات الليل في شغف، ونرقب الطيف من آن إلى آن

رفــقا بـلادي فأنت الكون أجمعــه، لولاك كنت بلادي هالكا فاني

لك الفؤاد وما في الجسم من رمق ومن دماء، ومن روح وجثمان

لك الرقاب، ومافي الكون من نفس، مدي يمين الوفا، يا عين إنساني

لك الحـيـاة فجــودي بالوصـــال فما أحلى وصالك في قلبي ووجداني

المصدر: مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، ص ص 51-52.

الملحق رقم 06: نشيد حزب نجم شمال إفريقيا

فداء الجزائر روحي ومالي ألا فـي سبيل الحرية
فليحيا (حزب الاستقلال) و (نجم شمال إفريقية)
وليحيا شباب الشعب الغالي مثال الفدا والوطنية
ولتحيا الجزائر مثل الهلال و لتحيا فيها العربية
سلاما سلاما أرض الجدود سلاما مهد معالينا
فأنت في الكون دار الخلود غرامك صار لنا دينا
فإنا حولك مثل الجنود لسان هواك يناجينا
سنرعى حقك مثل الأسود و لو قبضوا بتراقينا
سرى بالروح دم الفاتحين فأذكى فيها معاني الفدا
نخوض الكون مع الخائضين و لا نرتد ولو بالردى
ونعلي الصرخة في الصارخين ننادي : العزة والسؤددا
فلسنا نرضى مع العالمين حياة نبقى بها أعبدا
فلسنا نرضى الإمتزاجا ولسنا نرضى التجنيسا!
ولسنا نرضى الإندماجا ولا نرتد : فرنسيسا!
رضينا بالإسلام تاجا كفى الجهال تدنيسا!
فكل من يبغي اعوجاجا رجمناه كإبليسا!
خلقنا بحكم الهوى إخوة فتبت يدا كل من فرقا
نريد حياة لنا حرة كفانا، كفى من حياة الشقا

خلفنا لهذا الورى سادة ونجم الهدى عندنا أشرقا

بلادي يمينا مقدسة سنرعى عهدك والموثق

ألا في طريق الهدى سعينا ألا في سبيل العلا والجهاد

ليسطع بأفق السما نجمنا ويعلي الصرخة في كل واد

فها هو ذاك اللوا معلنا حملناه ذا اليوم فوق الفؤاد

وها هو (أحمد) يحدو بنا وها هو (جبريل) فينا يناد

ألا في سبيل الاستقلال

ألا في سبيل الحريـة

المصدر: مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 89.

الملحق رقم 07: أبيات من قصيدة "إلى الريفيين" التي ألفها مفدي زكرياء تمجيدا لثورة الريف

أجبريل هلل بأي الظفر وكبّر وخط جليل الخبر

ورف بأجنحة النصر فوق بني الريف، حول القنا المشتجر

ورتل على الجيش إن تنصروا اللـ ـه ينصركم ببلوغ الوطر

وأعل اللواء لهام الثريا، وسر للأمام بتلك الزمر

وأبلغ رسول البرية أحمـ ـد هادي الشريعة بادي البشر

بأن الهلال على أفق العزز و المجد بعد الافول ظهر

المصدر: مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، ص ص 23-27.

الملحق رقم 08: عقيدة التوحيد التي وضعها مفدي زكرياء لجمعية طلبة شمال إفريقيا.

عقيدة التوحيد
لشباب شمال إفريقيا

1 ــ آمنت بالله وبالاسلام دينا، وبالقرآن إماما، وبالكعبة قبلة وبسيدنا محمد صلى آلله عليه وسلم نبيا ورسولا، وبشمال إفريقيا وطنا واحدا لا يتجزأ.

2 ــ أقسم بوحدانية آلله أنني أومن بوحدانية شمال إفريقيا؟ ولها ما دام في قلب خافق ودم دافق ونفس عالق.

3 ــ الاسلام ديننا ــ العربية لغتنا.

4 ــ لست مسلما ولا مؤمنا ولا عربيا إذا لم أبذل نفسي ومالي ودمي في سبيل تحرير وطني العزيز (شمال إفريقيا) من اغلال العبودية واخراجه من ظلمات الجهل والفاقة إلى نور العلم والرفاهية والعيش السعيد.

5 ــ كل مسلم بشمال إفريقيا يؤمن بالله ورسوله ووحدة شماله هو أخي وقيم روحي فلا أفرق بين تونسي وجزائري ومغربي ولا بين مالكي وحنفي وشافعي واباضي وحنبلي، ولا بين عربي وقبائلي ولا بين مدني وقروي ولا بين حضري وأفاقي، بل كلهم اخواني أحبهم واحترمهم وأدافع عنهم ما داموا يعملون لله وللوطن. وإذا خالفت هذا المبدأ فإنني اعتبر نفسي أعظم خائن لدينه ووطنه.

6 ــ كل من عمل للتفرقة بين أجزاء وحدة وطني (شمال إفريقيا) اعتبره أكبر عدو لي ولوطني وأحاربه بكل وسيلة ولو كان أبي الذي انجبني أو أخي من أبي وأمي.

7 ــ وطني شمال إفريقيا، وطن ما جد له ذاتيته المقدسة وتاريخه الباذخ، ولغته الكريمة وجنسيته العربية الشريفة، وكل من سولت له نفسه الانسلاخ عن هذه الجنسية أو المروق من هذه الذاتية اعتبرته آبقا من وحدة وطني وخارجا عن جماعة المسلمين ليدخل لقيطا ملحقا بجنسية غيره. فعليه غضب الرب! وغضب الشعب!

8 ــ قد تبين الرشد من الغي. فلا سياسة اندماج ولا سياسة استجداء نحن طلاب حق مغصوب وتراث مسلوب. فيجب ان نناله وكفى. فلا منزلة بين المنزلتين: أما وطني صميم واما خائن أثيم ..

9 ــ نحن لا نبغض الأجناس فالكل عباد آلله والأجانب الذين يعيشون في بلادنا نحترمهم ما داموا يحترموننا ولا نؤذيهم ما داموا لا يأذوننا في حرياتنا وكرامتنا وخيرات بلادنا فإذا راعوا حق صاحب الدار راعينا حق الضيوف، لهم ما لنا وعليهم ما علينا. بهذا أمر ديننا الحنيف وبهذا تأمر ضمائرنا الطاهرة.

10 ــ وطننا شمال إفريقيا جزء لا يتجزأ من جسم الشرق العربي نفرح لفرحه ونتألم لألمه ونتحرك ونسكن لسكونه تربطنا به وإلى الأبد روابط اللغة والعروبة والاسلام.

مقتبس من خطبة المرحوم مفدي زكريا في الحفل الافتتاحي
لمؤتمر طلبة شمال إفريقيا الرابع (أكتوبر 1934)
الذي عقد بقاعة الخلدونية بتونس
عن تونس الفتاة عدد 17

المصدر: عبد الحميد زوزو، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص ص 112-113.

الملحق رقم 09: قصيدة " أهلا بنسل الفاتحين" التي ألقاها مفدي زكرياء في افتتاح المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين

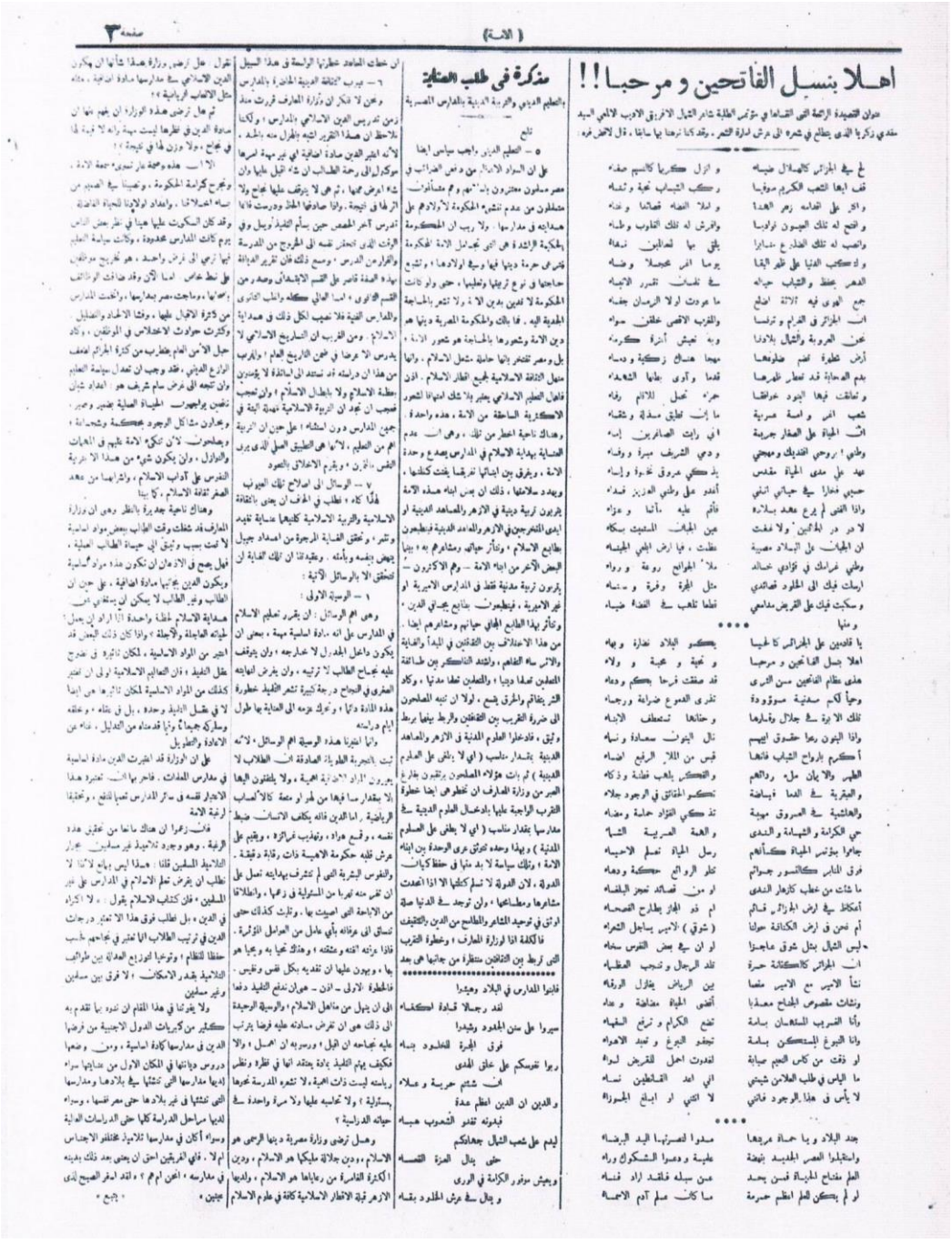

صفحة ٣ (الأمة)

اهلا بنسل الفاتحين و مرحبا !!

ديوان القصيدة الرائعة التي القاها في مؤتمر الطلبة شاعر الشمال الافريقي الاديب الاخي السيد مفدي زكريا الذي يتطلع في شعره الى عرش ادارة الشعر . وقد كنا نرجنا بها سابقا ، قال لاحق فيه :

يا بني الجزائر كالهلال ضياء ... و ازل كريبا كالسيم صفاء
قف ايها النصب الكريم مرفرفا ... و ركب الشباب تحية و ثناء
و اكر على القدامه زهر العدا ... و اعلا الفضاء قصائدا و غناء
و افتح له تلك الجيوب نوافذا ... و افرش له تلك القلوب وطاء
و انصب له تلك القلاع منابرا ... يلقي بها تعاليمن نداء
و اكتب الدنيا على ظهر البقا ... يوما امر مجملا و قضاء
الدهر يحفظ و الشباب حياته ... في نفسك تقرر الانباء
جمع الهوى فيه الالاة اضلع ... ما عودت لولا الزمان جفاء
انت الجزائر في الغرام و ترنسا ... و القرب الاقصى خلقن سواء
نحن العروبة و الشمال بلادنا ... و به تعيش أخرة كرماء
أرض تطيرة ضم طاوعنا ... مهما هنالك زكبة و دماء
بدم الحماية قد تعطر ظهرها ... قدما و توى بطاها الشهداء
و تعانقت فيها الجدود خواطرا ... حمراء تحمل للانام رواء
شعب امر و امة عمرية ... ما إنت طليق مبادئ و شقاء
انت الحياة على الصغار جريمة ... اني رايت الصاغرين إباء
وطني ! يروحي افتديك و مهجتي ... و دمي الشريف مبرة و وفاء
عهد على مدى الحياة مقدس ... يذكي مروق نخوة و إباء
حبيبي فخارا في حياتي انني ... أعدو على وطني العزيز فداء
واذا القضى لم يرع بعد بلاده ... فالثم عليه مآتما و عزاء
لا در در الخائنين ولا غفت ... عين الجبانت المستبد بكاء
ان الجبانت على البلاد مصيبة ... نقمت ، فيا ارض الجبن الجبناء
وطني غرامك في فؤادي خالد ... ملأ الجوانح روعة و رواء
ارسلت فيك الى الخلود تهانئي ... مثل الجرة وغرة و سناء
و سكبت فيك على القريض مدامعي ... فطما تلاعب في القضاء ضياء

و منها

يا قادمين على الجزائر كالحيا ... يحكو البلاد نضارة و بهاء
اهلا بنسل الفاتحين و مرحبا ... و تحية و محبة و ولاء
هذي نظام الفاتحين سمت الذرى ... قد صفقت فرحا بحكم ودعاء
وحيا لكم صفحية مسؤودة ... نفرى الدموع ضراعة ورجاء
تلك الابوة في جلال وفخرها ... و حنانها تستعطف الابناء
واذا البنون رعوا حقوق ابيهم ... نال البنوت سعادة و نماء
أكرم بارواح الشباب فانها ... قبس من الملأ الرفيع اضاء
الطير والا يمان ملء رداتهم ... والنكر يلعب فطنة و ذكاء
والعبقرية في الدما فياضة ... تحكو المتاتق في الوجود جلاء
والعاشية في العروق مهيبة ... تذكي التؤاد حماسة ومضاء
حي الكرامة و الشهامة و الندى ... والهمة العربية الشماء
جاهروا بؤنس الحياة كأنهم ... رسل الحياة تعلم الاحياء
فوق المنابر كالنسور جسومهم ... تطير الروائع حكمة ودهاء
ما شئت من خطب كازهار الندى ... لو من فصاحة تحير البلغاء
أمكافل في ارض الجزائر فالم ... لم فو الجزائر يطرح القصحاء
أم نحن في ارض الكنانة حولنا ... (شوقي) الاديب يسابل الشعراء
ليس الشمال بذل شوق عاجزا ... لو ان في بعض النفوس سخاء
انت الجزائر كالكتائبة حمرة ... تلد الرجال و تنجب العظماء
نشأ الاديب مع الاديب مقسما ... بين الرياض يقاول الورقاء
ونشاط مقصوص الجناح معذبا ... أقضى الحياة مضاعفة و عداء
وأبا الغريب المستهان بساحة ... تخم الكرام و ترغم السفهاء
وانا النبوغ المستكن بساحة ... تجفو النبوغ و تعبد الاهواء
لو ذقت من كاس النجيم صبابة ... اندوت احمل للقريض لواء
ما الياس في طلب العلا ان شبني ... اني ابد القاطنين سماء
لا يأس في هذا الوجود فاني ... لا انثني او ابتاع الجوزاء

و منها

جند البلاد و يا حماة مريعها ... مدوا لنصرتها اليد البيضاء
واستقبلوا العمر المجدد بهجة ... طيبة و دعوا الشكوك وراء
العلم مفتاح الحياة فمن يحد ... عن سبله فالفقر زاد فناء
لو لم يكن للعلم اعظم حرمة ... ما كان ملء آدم الاسماء

مذكرة في طلب العناية

بالتعليم الديني والعربية الدينية بالمدارس المصرية

تابع

٥ – التعليم الديني واجب سياسي ايضا

على ان السواد الاعظم من ابناء المسلمين في مصر مسلمون مفترون بالاسم ، ولم مسلمون متعلقون من عدم تنشيء الحكومة لاولادهم على هدايته في مدارسها . ولا ريب ان الحكومة بطبيعة الزيادة هي التي تجعل الامة الحكومة فتدرس في حرية دينها فيها وسيلة اولادها ، وتشبع حاجاتها في نوع تربيتها وتعليمها ، حتى ولو كانت الحكومة لا تدين بدين الامة ، ولا تشعر بالحاجة العقيدة اليه . فما بالك والحكومة المصرية دينها هو دين الامة وشعورها بالحاجة هو شعور الامة ، بل ومصر تفتخر بانها حامية مشعل الاسلام . وانها منبع الثقافة الاسلامية لجميع اقطار الاسلام . اذن فاهمال التعليم الاسلامي يعتبر بلا شك اهمالا للشعور الاكثرية الساحقة من الامة ، هذه واحدة ، وهناك ناحية اخطر من تلك ، وهي ان عدم العناية بهداية الاسلام في المدارس يصدع وحدة الامة ، ويفرق بين ابنائها تفريقا يخت كشفها ، ويعد سلامتها ، ذلك ان بعض ابناء هذه الامة يتربون تربية دينية في الازهر والمعاهد الدينية او ايدي المتخرجين في الازهر والمعاهد الدينية فيطبعون بطابع الاسلام ، وتأثر حياتهم ومشاعرهم به ، بينما البعض الآخر من ابناء الامة – وهم الاكثرون – يتربون تربية مدنية فقط في المدارس الاميرية او غير الاميرية ، فيطبعون بطابع يجافي الدين ، وتأثر هذا الطابع المجافي حياتهم ومشاعرهم ايضا . من هذا الاختلاف بين الفئتين في المبدأ والغاية والاثر ساء التفاهم ، واشتد التناكر بين طائفة المتعلمين تعلما دينيا ، والمتعلمين تعلما مدنيا ، وكاد الشر يفاقم والخرق يتسع ، لولا ان تنبه المصلحون الى ضرورة التقريب بين الفئتين والربط بينهما برباط وثيق ، فادخلوا العلوم المدنية في الازهر والمعاهد الدينية بمقدار مناسب (اي لا يطغى على العلوم الدينية) ثم بانت هؤلاء المصلحون يرتقون بالمرة الصبر من وزارة المعارف ان تخطوهم ايضا خطوة التقريب الواجبة عليها بادخال العلوم الدينية في مدارسها بمقدار مناسب (اي لا يطغى على العلوم المدنية) وبهذا وحده تتوثق عرى الوحدة بين ابناء الامة ، وتلك سياسة لا بد منها في حفظ كيان الدولة ، لان الدولة لا تسلم كلتها الا اذا اتحدت مشاعرها ومطامحها ، ولن توجد في الدنيا صلة اوثق في توحيد المشاعر والمطامح من الدين بالتكليف

فالكلمة اذا لوزارة المعارف ، وخطوة التقريب التي ترتبط بين الثقافتين منتظرة من جانبها هي بعد

****

فليبدأ المدارس في البلاد وحيدا
لقد رجمالا قيادة اكتفاء
سيروا على سنن الجدود وشيدوا
فوق الجزرة للخلود بناء
ربوا تفوسكم على خلق الهدى
ان شئتم حرية و سلاما
والدين ان الدين اعظم عدة
فبدونه تقدو الشعوب هباء
ليقم على شعب الشمال بعهادكم
حتى ينال العزة القعساء
ويعيش موفور الكرامة في الورى
و يطال في عرش الخلود بقاء

ان خطة المعاهد خطوتها الرابعة في هذا السبيل

٦ – بعث ثقافة عربية مختارة بالمدارس

ونحن لا نفكر ان وزارة المعارف قررت منذ زمن تدريس الدين الاسلامي بالمدارس ، ولكنا نلاحظ ان هذا التقرير انتهى بالفشل منه والضد ، لانه اعتبر الدين مادة اضافية لهي غير مهمة لمرها موكول الى رغبة الطالب ان شاء اقبل عليها وان شاء اعرض عنها ، ثم هي لا يترتب عليها نجاح ولا الرقي في نتيجة . ولذا صادفها الحظ وورست قالها تدرس آخر اليوم حين يسأم التلميذ ويميل وفي الوقت الذي تحضر نفسه الى الخروج من المدرسة والفرار من الدرس ، وسع ذلك فان تقرير الدقائق بهذه المدة قاصر على القسم الابتدائي وحده ومن القسم الثانوي ، اما العالي فكله بالطب الحاوي والمدارس الفنية فلا تعيب لكل ذلك في هدايته الاسلام . ومن الغريب ان التاريخ الاسلامي لا يدرس الا عرضا في ضمن التاريخ العام ، والغريب من هذا ان برامجه قد تمتد الى الثقافة لا يتمدون بعظمة الاسلام ولا بالمثل الاسلام ، ولن تعجب فعجب ان تجد ان التربية الاسلامية مهملة البتة في جميع المدارس دون استثناء ! على حين ان التربية هم من التعليم ، لانها هي التطبيق العملي الذي يربي النفس ، ان ، ويقوم الاخلاق بالقدوة

٧ – الوسائل الى اصلاح تلك العيوب

هذا كله ، نطلب في الخوف ان يعنى بالثقافة الاسلامية والتربية الاسلامية كليهما عناية تفيد وتثمر ، وتحقق الغاية المرجوة من اعداد جيل يحيى بنفسه وبأمته . ويقيدنا ان تلك الغاية لن تتحقق الا بالوسائل الآتية :

١ – الوصية الاولى :

وهي اهم الوسائل : ان يقرر تعليم الاسلام في المدارس على انه مادة اساسية مهمة ، بمعنى ان يكون داخل الجدول لا خارجه ، وان يتوقف عليه نجاح الطالب لا ترتيبه ، وان يفرض نهايته الصغرى في النجاح درجة كبيرة تشعر التلميذ خطورة هذه المادة دائما ، وتحرك عزمه الى العناية بها طول ايام دراسته

وانما اعتبرنا هذه الوصية اهم الوسائل ، لانه ثبت بالتجربة الطويلة ان المادة التي الطالب لا يعيرون المواد الاجنبية اهمية ، ولا يلتفتون اليها الا بمقدار ما فيها من لحم او معدة كالآداب الرياضية . اما الدين فانه يكلف الانسان ضبط نفسه ، وقمع هواه ، وتهذيب غرائزه ، ويقيم على عرش قلبه حكومة الاهمية ذات رقابة دقيقة . والنفوس البشرية التي لم تشرف بهدايته تعمل على ان تقمر منه نهرا من المسئولية في زعمها ، واطلاقا من الاباحة التي اصيبت بها ، وتلبث كذلك حتى تساق الى عزائه بأي عامل من العوامل المؤثرة . فاذا مزنته اقته ومقته ، وهناك تحيا به وبحيا هو بها ، ويهون عليها ان تفقده بكل نفس ونفيس . فالحظوة الاولى – اذن – هي ان تدفع التلميذ دفعا الى ان يقبل من مناهل الاسلام ، والوصية الوحيدة الى ذلك هي ان تفرض مادته عليه فرضا يترتب عليه نجاحه ان قبل ، ورسوبه ان اهمل ، والا فكيف يهتم التلميذ بمادة يعتقد انها في نظره ونظر رياسته ليست ذات اهمية ، ولا تشعره المدرسة بخطرها بمسئولية ؟ ولا تحاسبه عليها ولا مرة واحدة في حياته المدرسية ؟

وهل ترضى وزارة مصرية دينها الرجعي هو الاسلام ، ودين جلالة مليكها هو الاسلام ، ودين الكثرة الغامرة من رعاياها هو الاسلام ، ولديها الازهر قبلة الاقطار الاسلامية كافة في علوم الاسلام

تقول على ارضي ، ووزارة هذا شأنها ان يكون الدين الاسلامي في مدارسها مادة اضافية ، مادة مثل الالعاب الرياضية ؟

ثم هل ترضى هذه الوزارة ان يفهم تلميذها ان مادة الدين في نظرها ليست مهمة وانه لا فرق لها في نجاح ، ولا وزن لها في نتيجة ؟ !

الا ... هذه وحدة عار نصيبي جمعة الامة ، ويخرج كرامة الحكومة ، وتعيبنا بين الصغير من نساء اعمالنا . واعداد اولادنا للحياة العاملة .

وقد كان السكوت عليها هينا في نظر بعض الناس يوم كانت المدارس محدودة ، وكانت سياسة التعليم فيها ترمي الى غرض واحد ، هو تخريج موظفين على نمط خاص . اما الآن وقد ضاقت الوظائف بحملتها ، وماجت مصر بمدارسها ، وانحت المدارس من كثرة الاقبال عليها ، وطغا الاكتظاظ والتمايل . وكثرت حوادث الاختلاس في الموظفين ، وكاد جيل الأمن العام يخطب من كثرة الجرائم لتعدد الوازع الديني ، فقد وجب ان تعدل سياسة التعليم وان تتجه الى غرض عام شريف هو : اعداد شبان ناضين يواجهون الحياة العملية بضمير ، وبعاون مثالي الوجود بحكمة وشجاعة ، ويصلحون لان تتكؤ الامة عليهم في المهمات والنوازل ، ولن يكون شيء من هذا الا بتربية النفوس على آداب الاسلام ، واشرابها من بعد الصغر ثقافة الاسلام ، كما بينا

وهناك ناحية جديرة بالنظر ، وهي ان وزارة المعارف قد شغلت وقت الطلاب ببعض مواد اضافية لا تمت بسبب وثيق الى حياتهم الطلاب العملية ، فهل يجمع في الاذهان ان تكون هذه مواد اضافية ويكون الدين بجانبها مادة اضافية ، على حين ان الطالب وغير الطالب لا يمكن ان يستغني عن هداية الاسلام لحظة واحدة اذا اراد ان يعمل لحياته العاجلة والآجلة ، واذا كان ذلك البعض قد اعتبر من المواد الاساسية ، لمكان تأثيره في تهذيب عقل التلميذ ، فان التعاليم الاسلامية اولى ان تعتبر كذلك من المواد الاساسية لمكان تأثيرها هي ايضا لا في عقل التلميذ وحده ، بل في بنائه ، وخلقه ، وسلوكه جميعا ، وانما قدمناه من التدليل ، غناء عن الاعادة والتطويل

على ان الوزارة قد اعتبرت الدين مادة اساسية في مدارس البعثات ، فاحرى بها ان تعتبره هذا الاعتبار نفسه في سائر المدارس تعميما للنفع ، وتحقيقا لرغبة الامة

فان زعمت ان هناك ما تعقبي هذه الرغبة ، وهو وجود تلاميذ غير مسلمين ، عمار التلاميذ المسلمين قلنا : هذا ايس بباله لانا لا نطالب ان يفرض تعلم الاسلام في المدارس على غير المسلمين ، فان كتاب الاسلام يقول : « لا اكراه في الدين » بل نطالب فوق هذا الا تعتبر درجات الدين في ترتيب الطلاب انما تعتبر في نجاحهم حسب حفظ النظام ، وتوخيا لتوزيع العدالة بين طوائف التلاميذ بقدر الامكان ، لا فرق بين مسلمين وغير مسلمين

ولا يفوتنا في هذا المقام ان نبدي رأيا نقدم به كثير من كبريات الدول الاجنبية من فرضها الدين في مدارسها كمادة اساسية ، ومن وضعها دروس دياناتها في المكان الاول من عنايتها سواء لديها مدارسها التي تنشئها في بلادها ومدارسها التي تنشئها في غير بلادها حتى مصر نفسها ، وسواء لديها مراحل الدراسة كلها حتى الدراسات العالية وسواء أكان في مدارسها تلاميذ مختلفو الاجناس او لا . فاني الغريبين احق ان يعنى بعد ذلك بدينه في مدارسه ، اهن ام هم ؟ ، لقد امر الصبح لذي عينين .

« يتبع »

الملحق رقم 10: غلاف عدد من أعداد مجلة الوفاق.

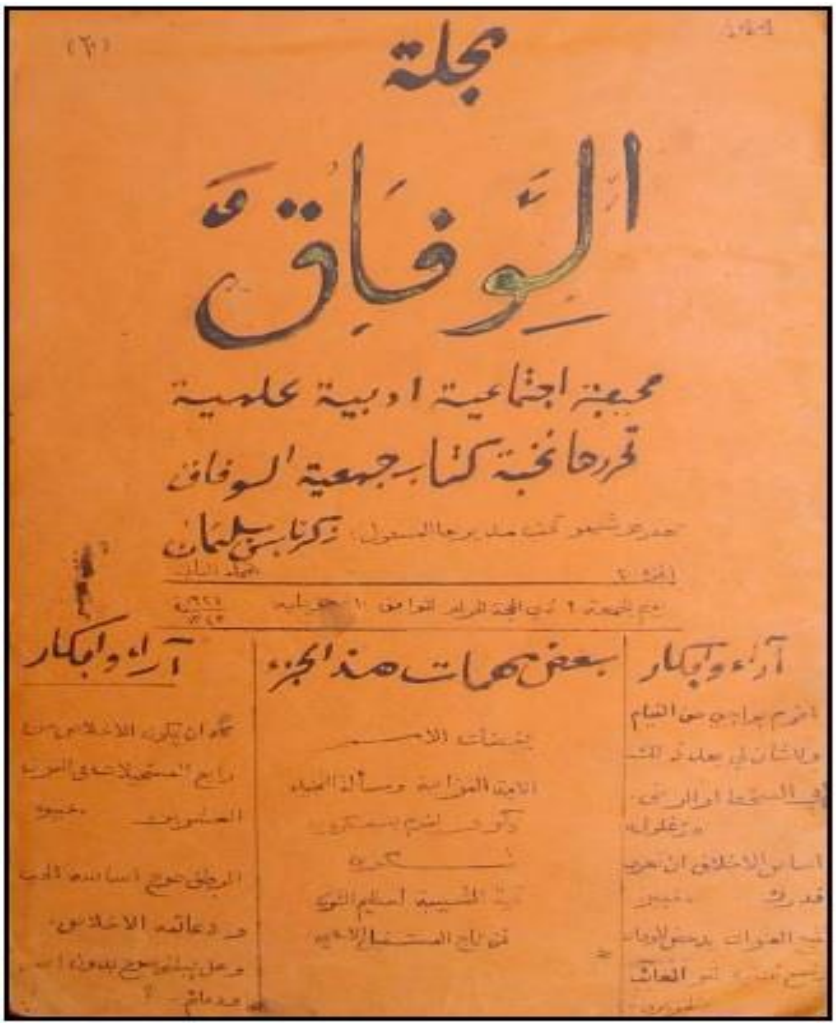

المصدر: مصطفى حمودة، مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي في مرحلة ما قبل الثورة، ص59.

الملحق رقم 11: رسالة مفدي زكرياء إلى الشيخ الطيب العقبي.

صفحة ٧ 219

رأى جديد

(في تأسيس جمعية باسم جمعية التوحيد)

ارسل الينا الشاب النابغ الاديب و الشاعر العبقري المجيد السيد « مفدي زكريا » من شباب (بني ميزاب) المتنورين الشاعرين بآلام هذه الامة الجزائرية منذ نعومة اظفارهم والمتطلبين لها العلاج السريع والدواء الناجع من يوم عرفوها بحالتها الراهنة وصفتها الحقيقة ، وعرفوا انهم جزء من هذه الامة لا يسعد الواحد منهم الابسعادتها: ارسل الينا هذا الشاب الطموح المغامر بهذه الرسالة التي ننشرها له معجبين برأيه وشاكرين له جرأته فقد دلتنا على مقدار ما يحمل بين جنبيه من الغيرة على امته و ما يتمنى لها الوصول اليه من سعادة حقيقية ، وسيادة عرف انها لا تبنى لا على الاتحاد في التوحيد. ملاحظين لحضرته ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي جمعية الموحدين ، وقد سبق تأسيسها لهذه الغاية التي يرمي اليها — وهي بحمد الله — لا تشتمل الا على الموحدين ، ولا يحمل ورقة العضوية فيها الا مؤمن من المصلحين .

فما يتطلبه هو وغيره من الاخوان يجدونه في [جمعية العلماء المسلمين الجزائريين] متى عمموا الدعوة اليها وأعانوها بجهودهم الجبارة على الوصول الى مهمتها السامية . وما هذه المهمة الا (الاتحاد في التوحيد) والى القراء الكرام نقدم بنص رسالة هذا الشاب الجريء قال :

الحمد لله وحده

حضرة الاستاذ الاكبر العلامة أبي « الجزائر الجديدة » الشيخ سيدي الطيب العقبي ، سلاما عاطرا وتحية مباركة . اما بعد ، فلا يخفاكم يا سيدي ان الشعب الجزائري يتحفز اليوم للوثوب نحو حيائه الجديدة الرهيبة الملأى بالمغامرات والمفعمة بالاماني الغالية والآمال العتيدة مدفوعا اليها بقوة ارادته الجبارة وسموقا نحوها بعصورين قاسيتين عصا النشوء والارتقاء في دائرة الشعور بالذاتية التي بتيتم لها في قلوب الرعية صروحا من يوم رفعتم عقيرتكم بالصرخة الكبرى نحو الحياة في هذه البلاد وعصا الاستعمار العتيد التي اخذت مأخذها الفريع من هيكل الامة المقدس واثخنته جراحات داميات وتركته شلوا ممزعا تتقاذفه الاقدام الاثيمة نحو غايات ساغلة تقاذف الصبيان كرة القدم ، وكان حتما عليه ولزاما في نهضته هذه ان يتفر مجموع الاجزاء ملتئم الشعث قوي البنية ليستطيع الثبات امام الاعاصير والزعازع الاستعمارية التي تنتظره في الميدان العصيب ، سيما وقد قام الدليل على بطلان كل نهضة تدس في بنائها الغام الفوارق وتنتشر بين صفوفها اوبئة الشيع والطوائف .

ولما كان المنطق المعقول ، هو اقامة الاساس قبل الشروع في البناء كان حتما على زعماء هذه البلاد المريدين بها خيرا ان يرعوا شقوقها ويضموا اجزاءها ضما محكما قبل ان يبعثوا بها غازية في ميدان الحياة .

وان الذي يحس نبض الامة الجزائرية مباشرة « كحضرتكم » يعلم مقدار الاوبئة الفتاكة المنتشرة بين شرايينها من شقاق مبني على فوارق طبيعية وخصومات [نصف دينية] هي من بقايا جنايات الآباء على البنين !!

هذا يعتز بحضربته وهذا بزاويته و ذاك بقبائليته والآخر بميزابيته ، والاستعمار من وراء ذلك يعتز بهذه الفوارق كلها على حقنا جميعا ! و محال ان توفق نهضة على هذه الاشكال المتنافرة ولقد سجل لكم التاريخ في ديوان البطولة اعمالكم في هذا السبيل تلك الاعمال الخالصة التي استطاعت ان تقيمكم مقام [الابرة الموقرة] من هذا الشعب العربي المسلم الكئيب !

الا ان الظروف اصبحت مسرعة جدا والحالة لا تمهلنا كثيرا و بعض النواحي الادارية تزيد الخرق اتساعا وتسعى في ان تكون لكل طائفة جمعية خاصة بها اعتزازا بالقومية واحياء للشعوبية المقوقة . و بعض الذوات المشبوهة تعين الادارة على ذلك بايعازات سرية وعلنية وبكل وسيلة شريفة وغير شريفة .

ازاء كل هذا رأت كتلة صالحة من العاملين تأسيس جمعية تحت رئاستكم باسم « جمعية التوحيد » غايتها القيام بازالة جميع الفوارق بين الطوائف الاسلامية الساكنة بهذه البلاد وتمتين العلاقات بين تلك الطوائف وتطهيرها وتوحيد الرغبات والاعمال تحت دائرة : التوحيد .

وذلك بتنظيم محاضرات ومسامرات لهذا الصدد في كل اسبوع و في كل ناحية وعقد مؤتمر سنوي كل سنة في احدى العمالات الثلاث بالتناوب والقيام بانشاء رسائل ونشريات تدعو للوحدة والوفاق وتشكيل قافلة سنوية من الدعاة والمبشرين بالتوحيد في دائرة التوحيد .

اننا نرجوكم يا حضرة الشيخ المحترم ان تجيبونا عن رأيكم في هذه المسألة الحيوية الاساسية وتعاضدونا برئاستكم واعمالكم الصالحة ولا نرى من غرابة في فكرتنا هذه بعد ان اتحد كل من في الارض وبعد ان أصبح أبناء موسى وعيسى في الجزائر يخطبون ود أبناء محمد ويرجون اتحادهم معهم لصالح البلاد وخير الانسانية المعذبة والسلام عليكم ورحمة الله :

عن جماعة من المصلحين العاملين .

« مفدي زكرياء »

من الشعور اشتقاق الشعر

من الشعور اشتقاق الشعر فهو على
ذاك الشعور شعار جل مؤتميه
وإنه عند من يدرى حقيقته
در ولا درر الاصداف تحكيه
در العقول لذاك المرء يبرزه
في سلك نظم بجيد الدهر يهديه
فكم له في حروب العرب من شرف
وكم له في مقام الفخر من تيه
وكم به ارتفعت اوج العلا امم
وكم به انحط تحت السفل شانيه
به الحقائق تبدو غير خافيه
وينطوى في خفاء القول باديه
وترتقي في سماء الحق انجمه
ترمي العدو بنار الشهب ترديه
اكرم به قائدا قاد العقول الى
مكارم اودعت في احرف فيه
فكم له في بطون الكتب من عظة
اكرم بها عظة تهدى لحاكيه
وكم سبى بديع اللفظ اهل نهى
وكم حدا في طريق المجد جاديه
اكرم به داعيا يدعو الى شرف
وغازيا غانما بالسحر يرميه
ومارمى اذنا يوما بنغمته
الا سبى القلب منفيه وشاديه

« محمد بن منصور »

المصدر: مجموعة جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ج1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ص 219.

الملحق رقم 12: جزء من مقال "ملاحظات نزيهة من رسالة صديق"

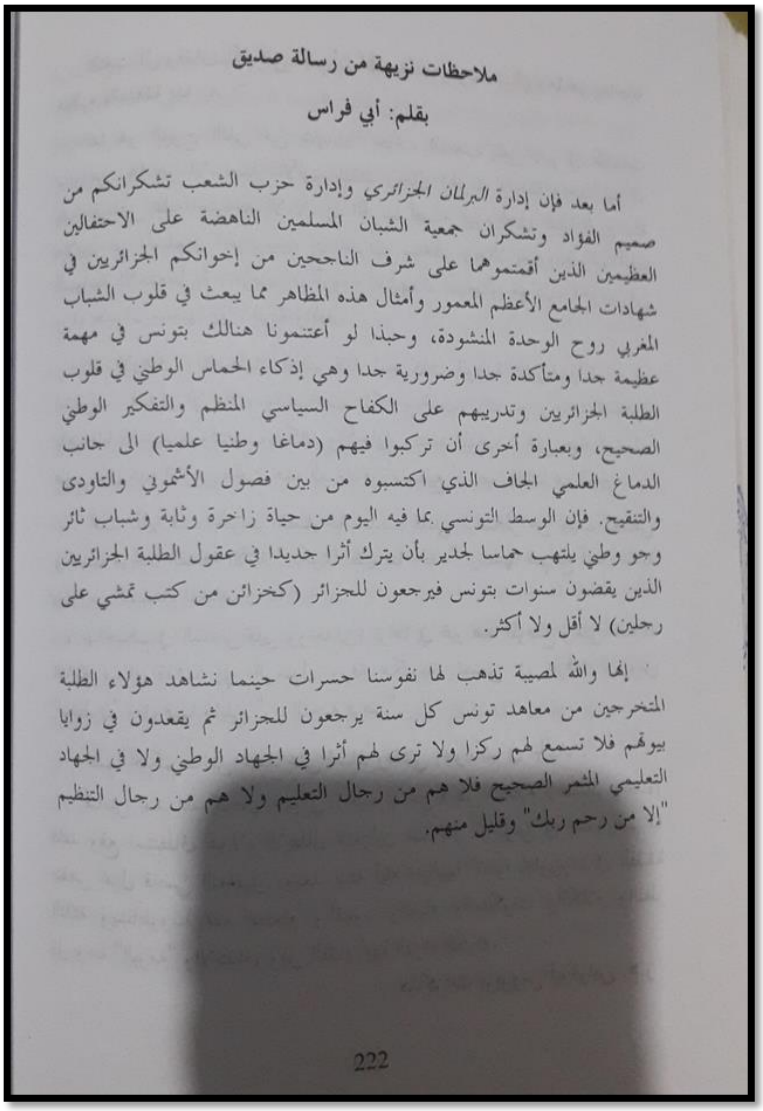

ملاحظات نزيهة من رسالة صديق

بقلم: أبي فراس

أما بعد فإن إدارة *البرلمان الجزائري* وإدارة حزب الشعب تشكرانكم من صميم الفؤاد وتشكران جمعية الشبان المسلمين الناهضة على الاحتفالين العظيمين الذين أقمتموهما على شرف الناجحين من إخوانكم الجزائريين في شهادات الجامع الأعظم المعمور وأمثال هذه المظاهر مما يبعث في قلوب الشباب المغربي روح الوحدة المنشودة، وحبذا لو أعتنمونا هنالك بتونس في مهمة عظيمة جدا ومتأكدة جدا وضرورية جدا وهي إذكاء الحماس الوطني في قلوب الطلبة الجزائريين وتدريبهم على الكفاح السياسي المنظم والتفكير الوطني الصحيح، وبعبارة أخرى أن تركبوا فيهم (دماغا وطنيا علميا) الى جانب الدماغ العلمي الجاف الذي اكتسبوه من بين فصول الأشموني والتاودى والتنقيح. فإن الوسط التونسي بما فيه اليوم من حياة زاخرة وثابة وشباب ثائر وجو وطني يلتهب حماسا لجدير بأن يترك أثرا جديدا في عقول الطلبة الجزائريين الذين يقضون سنوات بتونس فيرجعون للجزائر (كخزائن من كتب تمشي على رجلين) لا أقل ولا أكثر.

إنها والله لمصيبة تذهب لها نفوسنا حسرات حينما نشاهد هؤلاء الطلبة المتخرجين من معاهد تونس كل سنة يرجعون للجزائر ثم يقعدون في زوايا بيوتهم فلا تسمع لهم ركزا ولا ترى لهم أثرا في الجهاد الوطني ولا في الجهاد التعليمي المثمر الصحيح فلا هم من رجال التعليم ولا هم من رجال التنظيم "إلا من رحم ربك" وقليل منهم.

222

المصدر: محفوظ قداش ومحمد قنانش، حزب الشعب الجزائري (P.P.A) 1937-1939، ص 222

الملحق رقم 13: جزء من مقال " الأدب في السجن"

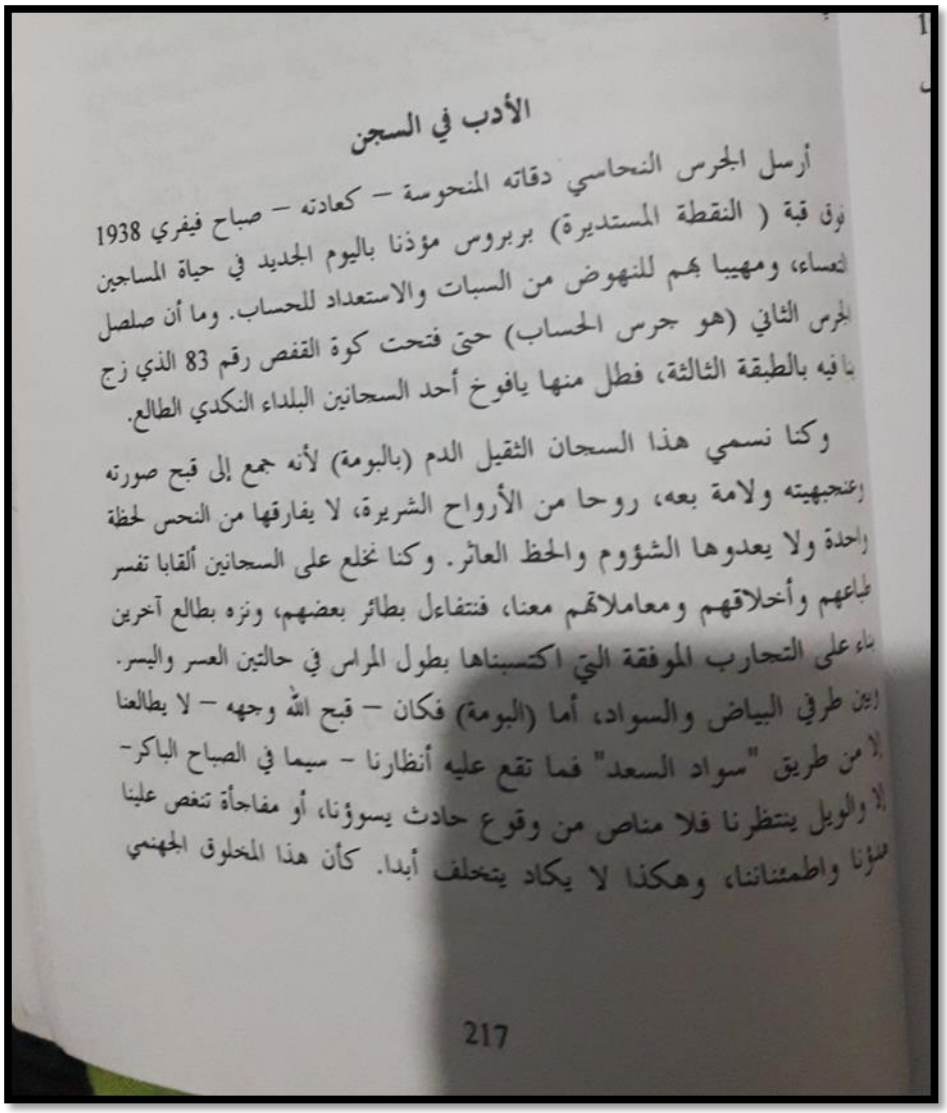

الأدب في السجن

أرسل الجرس النحاسي دقاته المنحوسة – كعادته – صباح فيفري 1938 فوق قبة (النقطة المستديرة) بربروس مؤذنا باليوم الجديد في حياة المساجين التعساء، ومهيبا بهم للنهوض من السبات والاستعداد للحساب. وما أن صلصل الجرس الثاني (هو جرس الحساب) حتى فتحت كوة القفص رقم 83 الذي زج بنا فيه بالطبقة الثالثة، فطل منها يافوخ أحد السجانين البلداء النكدي الطالع.

وكنا نسمي هذا السجان الثقيل الدم (بالبومة) لأنه جمع إلى قبح صورته وعنجهيته ولامة بعه، روحا من الأرواح الشريرة، لا يفارقها من النحس لحظة واحدة ولا يعدوها الشؤوم والحظ العاثر. وكنا نخلع على السجانين ألقابا تفسر طباعهم وأخلاقهم ومعاملاتهم معنا، فنتفاءل بطائر بعضهم، ونزه بطالع آخرين بناء على التجارب الموفقة التي اكتسبناها بطول المراس في حالتين العسر واليسر. وبين طرفي البياض والسواد، أما (البومة) فكان – قبح الله وجهه – لا يطالعنا إلا من طريق "سواد السعد" فما تقع عليه أنظارنا – سيما في الصباح الباكر – إلا والويل ينتظرنا فلا مناص من وقوع حادث يسوؤنا، أو مفاجأة تنغص علينا هدؤنا واطمئناننا، وهكذا لا يكاد يتخلف أبدا. كأن هذا المخلوق الجهنمي

217

المصدر: محفوظ قداش ومحمد قنانش، حزب الشعب الجزائري (P.P.A) 1937-1939، ص 217.

الملحق رقم 14: جزء من مقال مفدي زكرياء ومحمد الحاج الطاهر حول أزمة مقاطعة التجار المزابيين 1955.

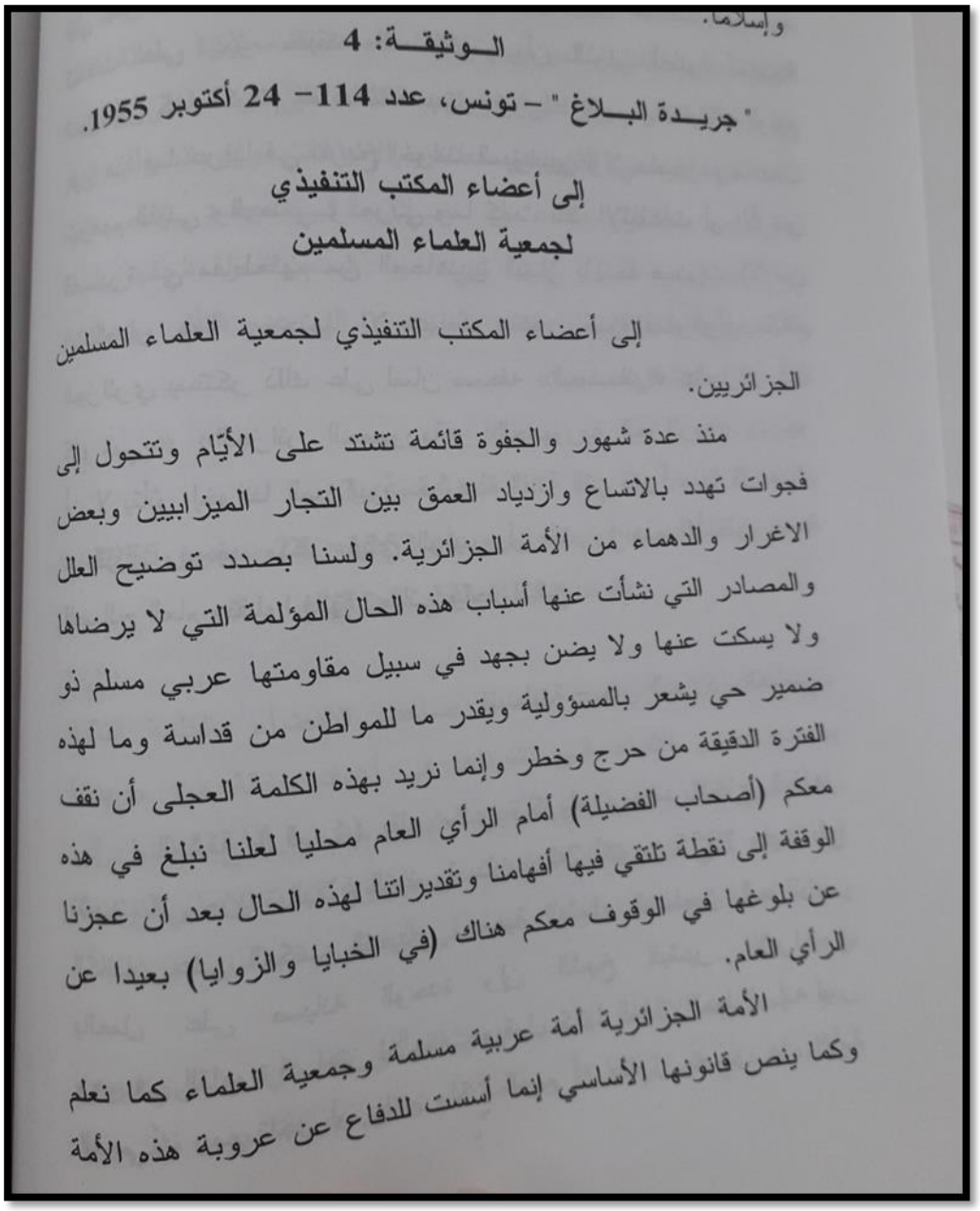

وإسلاما.

الـــوثيقـــة: 4

"جريـــدة البـــلاغ" – تونس، عدد 114– 24 أكتوبر 1955.

إلى أعضاء المكتب التنفيذي
لجمعية العلماء المسلمين

إلى أعضاء المكتب التنفيذي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

منذ عدة شهور والجفوة قائمة تشتد على الأيّام وتتحول إلى فجوات تهدد بالاتساع وازدياد العمق بين التجار الميزابيين وبعض الاغرار والدهماء من الأمة الجزائرية. ولسنا بصدد توضيح العلل والمصادر التي نشأت عنها أسباب هذه الحال المؤلمة التي لا يرضاها ولا يسكت عنها ولا يضن بجهد في سبيل مقاومتها عربي مسلم ذو ضمير حي يشعر بالمسؤولية ويقدر ما للمواطن من قداسة وما لهذه الفترة الدقيقة من حرج وخطر وإنما نريد بهذه الكلمة العجلى أن نقف معكم (أصحاب الفضيلة) أمام الرأي العام محليا لعلنا نبلغ في هذه الوقفة إلى نقطة تلتقي فيها أفهامنا وتقديراتنا لهذه الحال بعد أن عجزنا عن بلوغها في الوقوف معكم هناك (في الخبايا والزوايا) بعيدا عن الرأي العام.

الأمة الجزائرية أمة عربية مسلمة وجمعية العلماء كما نعلم وكما ينص قانونها الأساسي إنما أسست للدفاع عن عروبة هذه الأمة

المصدر: سليمان الشيخ ومحمد عيسى وموسى، دور مفدي زكرياء في أزمة 1955، ص 154.

القائمة البيبلوغرافية

- القرآن الكريم، رواية ورش.

1- المصادر:

أ- الكتب المطبوعة:

- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

- بلقاسم بن عبد الله، مفدي زكرياء شاعر مجّد الثورة حوارات وذكريات، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003.

- خرفي صالح، المدخل الى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1938.

- زكرياء مفدي، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003.

- زكرياء مفدي، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003.

- قداش محفوظ وقنانش محمد، حزب الشعب الجزائري (P.P.A) 1937-1939، تح: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، 2013.

- قنانش محمد، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

- ولد الحسين الشريف، من المقاومة الى الحرب من أجل الاستقلال 1830-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010.

ب- الصحف:

- زكرياء مفدي، رأي جديد في تأسيس جمعية باسم جمعية التوحيد، جريدة البصائر، العدد 27، 10 جويلية 1936.

2- المراجع العامة:

المراجع باللغة العربية:

- ابن ادريسو صالح، مفدي زكريا من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية، تر: مصطفى حمودة، مطبعة الآفاق، غرداية، 2012.

- اعوشت بكير سعيد، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، المطبعة العربية، الجزائر، 1991.

- البشيشي الأمين وبن حميدة عبد الرحمان، تاريخ ملحمة نشيد قسما من إرهاصات ميلاده نشيدا للثورة الجزائرية الى ترسيمه نشيدا رسميا للجمهورية الجزائرية، منشورات ألفا، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2008.

- البشيشي الأمين، أناشيد الوطن، ط2، منشورات ANEP، الجزائر، 2007.

- الحاج مصالي، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، تر: محمد المعراجي، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار ANEP، الجزائر، 2007.

- الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- الرائد عز الدين، الفلاقة، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

- الزاهري محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، تونس-تونس، 1926.

- الساعدي عبد جاسم، الشعر الوطني بين حركة الإصلاح والثورة، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2002.

– الشيخ سليمان، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين دراسة حول تاريخ الجزائر، تر: محمد حافظ الجمالي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003.

– الطالبي عمار، آثار ابن باديس، ج1، المجلد الثاني، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997.

– العسكري إبراهيم، لمحات من مسيرة الثورة التحررية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث، الجزائر، 1992.

– العمري مومن، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، د.س

– المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.

– الميلي محمد، فرانز فانون والثورة الجزائرية، دار الثقافة، الجزائر، 2007.

– النوري حمو محمد عيسى، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد 1، دار الكروان، باريس، 1985.

– بديرة لزهر، رجال من ذاكرة الجزائر، ج 17، وزارة الثقافة، الجزائر، د.س.

– بركات أنيسة، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية، المتحف الوطني للكتاب، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،1995.

– بري حواس، شعر مفدي زكرياء دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

– بلاح بشير، لونيسي رابح، عبدوس عبد الحميد، لخضر سفير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1989 م، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

- بن بكير الحاج يوسف، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، دار الثقافة، الجزائر،2007.

- بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

- بورنان السعيد، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830.1962، ط2، دار الأمل، الجزائر، 2004.

- بيطام مصطفى، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962 دراسة موضوعية وفنية، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

- خالدي سهيل، جيل قسما تأثير الثورة الجزائرية في الفكر العربي المعاصر، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2001

- دردور سمير نور الدين، شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكرياء، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة ،2017

- زمالي نسيمة، قراءة في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2012

- زوزو عبد الحميد، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009

- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992.

- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 م، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998.

– سعد الله أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

– شترة خير الدين، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900–1939 م، دار البصائر، ط1، الجزائر، 2009.

– شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900–1956م، ج2، دار كردادة للنشر والتوزيع، 2012.

– صديق محمد الصالح، من الخالدين الذين حملوا راية ثورة الجزائر وحققوا معزة النصر، دار البعث، الجزائر، 1988.

– عثماني فاطمة، مفدي زكرياء ونشاطه السياسي (1908–1977 م)، منشورات ألفا، الجزائر–الجزائر، 2018

– عون عبد الروضان، الشعراء العرب في القرن العشرين حياتهم شعرهم آثارهم، الأهلية للنشر، الأردن، 2005

– فتح الباب حسن، شاعر الثورة الجزائرية، الدار المصرية اللبنانية، 1997

– ناصر محمد، الشعر الجزائري الحديث، المجلد الثاني، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

– ناصر محمد، مفدي زكريا: شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، الجزائر،1987.

–هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائرالمعاصر 1830–1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

– ولد العروسي الطيب، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة، الجزائر، 2009.

ثالثا المقالات المنشورة في المجلات العلمية:

– الكعاك عثمان، شيخ الأدباء كأنك تراه، مجلة الفكر، العدد 08، 1 ماي 1967.

– بن خليفة عبد الفتاح وسرقمة عاشور، التناص القرآني في شعر مفدي زكريا قصيدة " إلى الريفيين" أنموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 13 العدد 1، جامعة غرداية، 2020

– بن رحال يمينة، البعثات العلمية الميزابية إلى تونس ودورها في تفعيل النهضة الفكرية الجزائرية، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 10، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة–الجزائر، ديسمبر 2018.

رابعا الملتقيات:

– سعد الله أبو القاسم، تفاعل مفدي زكرياء مع التيارات الوطنية، أعمال الملتقى الدولي مفدي زكرياء شاعر الوحدة الجزائر العاصمة أيام 15 و16 مارس 2006، مؤسسة مفدي زكرياء للنشر، الجزائر، 2007

– سليمان الشيخ ومحمد عيسى وموسى: دور مفدي زكريا في أزمة 1955، أعمال الملتقى الدولي مفدي زكرياء شاعر الوحدة الجزائر العاصمة أيام 15 و16 مارس 2006، مؤسسة مفدي زكرياء للنشر، الجزائر، 2007.

– شيبان عبد الرحمن، مفدي زكرياء وعلاقته بجمعية العلماء المسلمين، أعمال الملتقى الدولي مفدي زكرياء شاعر الوحدة الجزائر العاصمة أيام 15 و16 مارس 2006، الجزائر، 2007.

خامسا: الرسائل الجامعية:

- بوسعدة محمد، دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1930-1962م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2020/2019 م

- حرابي عبد الرزاق، البعد الوحدوي الوطني والمغاربي في فكر مفدي زكرياء، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2011-2012 .

- حمودة مصطفى، مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي في مرحلة ما قبل الثورة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الجزائري الحديث، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2009- 2010.

- مريقي عامر، جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين- دراسة تاريخية في مسيرتها النضالية: 1934-1947 م، مذكرة الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر2، 2010-2011.

خامسا الموسوعات والمعاجم:

- بابا عمي محمد بن موسى وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، 2000.

- بوزواوي محمد، معجم الأدباء والعلماء المعاصرين، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009.

- شرفي عاشور، معلمة الجزائر القاموس الموسوعي (تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام، معالم)، دار القصبة، الجزائر، 2009.

– مرتاض عبد الملك، معجم شعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، 2003.

– مقلاتي عبد الله، أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، دس.

فهرس المواضيع

فهرس المواضيع

كلمة شكر وتقدير 3

قائمة المختصرات 4

مقدمــة .....أ

الفصل الأول: مفدي زكرياء وحياته العلمية والعملية. 6

أولا: نسبه ونشأته. 7

1- نسبه. 7

2- عائلته. 10

3-ميلاده ونشأته الأولى. 11

ثانيا: تعليمه 13

ثالثا: حياته العملية. 18

الفصل الثاني: نضاله السياسي خلال الحركة الوطنية (1922- 1939 م). 23

أولا: أهم محطاته السياسية. 24

1- نشاطه في تونس. 24

2- نشاطه في الجزائر. 25

ثانيا: نضاله السياسي من خلال أشعاره. 30

1- مزاب في أشعاره 30

2- الجزائر والمغرب العربي في أشعاره. 34

ثالثا: نضاله السياسي من خلال مقالاته الصحفية. 40

1- الصحف والجرائد التي كتب فيها. 40

2–بعض كتاباته الصحفية. 42

الفصل الثالث: نضاله السياسي خلال الثورة التحريرية الجزائرية (1954– 1962 م). 47

أولا: مساهمته في الثورة التحريرية 1954–1955 م. 48

1– انضمامه للثورة.....48

2– دوره في كشف مؤامرة مقاطعة التجار المزابيين. 49

ثانيا: نضاله الثوري من خلال أشعاره 1954–1962 م.....54

خـاتمة.....60

قائمة الملاحق.....64

القائمة البيبلوغرافية 80

فهرس المواضيع 89